دفاتر فلسفية • نصوص مختارة

اللاوعي

إعداد وترجمة

سميرة شمعاوي ومحمد الهلالي

جل الكتاب مفقود
د. حسن داخل

دار توبقال للنشر

27

اللاوعي

صدر
ضمن سلسلة دفاتر فلسفية

1
التفكير الفلسفي
2
الطبيعة والثقافة
3
المعرفة العلمية
4
الحقيقة
5
اللغة
6
الحداثة
7
حقوق الإنسان
8
الإيديولوجيا
9
العقل والعقلانية
10
العقلانية وانتقاداتها
11
الحداثة وانتقاداتها
I
نقد الحداثة من منظور غربي
12
الحداثة وانتقاداتها
II
نقد الحداثة من منظور عربي - إسلامي
13
ما بعد الحداثة I
تحديدات

14
ما بعد الحداثة II
فلسفتها
15
ما بعد الحداثة III
تجلياتها وانتقاداتها
16
الحرية
17
العنف
18
الغير
19
الشخص
20
الواجب
21
الدولة
22
السعادة
23
الحق والعدالة
24
التاريخ
25
في المنهج
26
معايير العلمية

دفاتر فلسفية

نصوص مختارة

27

اللاوعي

إعداد وترجمة

سميرة شمعاوي ومحمد الهلالي

دار توبقال للنشر

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة

دفاتر فلسفية

الطبعة الأولى، 2016

©جميع الحقوق محفوظة

دار توبقال للنشر

عمارة معهد التسيير التطبيقي، ساحة محطة القطار

بلفيدير، الدارالبيضاء 20300 – المغرب

الهاتف / الفاكس : 23 23 34 522 (212)

الموقع : www.toubkal.ma – البريد الإلكتروني : contact@toubkal.ma

الإيداع القانوني رقم : 2016 MO 0077

ردمك : 978-9954-659-15-1

ردمد : 3245-2028

مطبعة النجاح الجديدة (CTP) - الدار البيضاء

تـمهيد

يحيلُ اللاوعي على الحياة النفسية التي تتم خارج دائرة الوعي الفردي. وهو مفهومٌ مركزيٌّ في التحليل النفسي، إنه موضوعه وأساسُ ممارستِه. ولهذا المفهوم تاريخ قبل ولادته الفعلية، وهو تاريخ إرهاصاته الأولى. فلقد استُعملت الكلمة الإنجليزية (unconscious) ابتداء من سنة 1751، أما الكلمة الفرنسة (inconscient) فقد استُعملت ابتداء من سنة 1860.

وهناك بالمقابل الإشارة إلى غيابه وعدم ضرورته للفكر خاصة لدى ديكارت الذي تَحْوَرَ فلسفته حول الذات الواعية وحول الأنا المفكّرة التي تثبتُ وجودها بالفكر عبر كونها تفكرُ وتعي أنها تفكرُ في الآن نفسه. إضافة إلى إشارة سبينوزا لخضوع أفعال الإنسان لمُحددات لا يُدركها الفاعل مما يَجعله يتوهم أنه حرّ ويملك إرادة مستقلة. لكن ليبنتز كان أول من برهن على مَحدودية التصور الديكارتي للوعي. فديكارت كان يرى أن الفكرَ هو الوعي، بينما كان ليبنتز يفصل بينهما لأنه يعتقد أنه بالرغم من أننا نفكرُ فإننا لا نعي دوما كل ما نفكرُ فيه. وقدّم كمثال على ذلك ما يُسميه بالإدراكات الصغيرة التي يميزها عن الإدراكات المفكَّر فيها التي نَعيها ونعترفُ بامتلاكنا لها. لكنه لم يستعمل مفردة اللاوعي. إن الذي استعملها في مجال الفلسفة في ذلك الوقت هو شيلنغ Schelling الذي اعتبر

اللاوعي أساسا للحياة الإنسانية لأنه يكشف عن وحدة العقل والطبيعة. أما شوبنهاور فيرى أن اللاوعي هو إرادة عمياء غير متحكَّم فيها، واعتبر نيتشه الوعي نتيجة للصراع اللاواعي الذي تخوضه الغرائز أو الدوافع الغريزية في الجسم البشري.

لقد مهدت ممارسة التنويم المغناطيسي للتعرف على منطقة منفصلة عن الوعي، تتدخل في حياة الإنسان بل وتُسبب له عدة متاعب. وبالرغم من كل تلك الإسهامات (إضافة إلى إسهامات مباشرة مثل تلك التي قدمها جانيه Janet وشاركو Charcot وبرنهايم Bernheim وبروير Breuer)، فإن فرويد Freud قام بدور نظري كبير في بلورة مفهوم اللاوعي بالمعنى الذي يسود في التحليل النفسي الفرويدي.

ارتبط تحديد مفهوم اللاوعي لدى فرويد بـ«المكان» و«الموقع» (topos). ولذلك يتم نعت تصور فرويد الأول والثاني للاوعي بالتصور الذي يرتكز على موقع أو مكان. ففي التصور الأول للاوعي يميز بين أربعة مُكونات (أو منظومات) وهي : أ) الوعي : ويقع على هامش الجهاز النفسي، وهو الذي يتلقى المعطيات والمعلومات من العالم الخارجي ومن حياة الإنسان الداخلية. ومن المقومات التي يرتكز عليها المنطق والزمان ومبدأ الواقع... ب) ما قبل الوعي : ويقع ما بين الوعي واللاوعي، وهو أقرب إلى الوعي وأكثر ارتباطا به. والرقابة هي التي تفصله عن اللاوعي. ج) اللاوعي : هو مقر ومكان تجميع الدوافع الغريزية والرغبات والذكريات المكبوتة، وهو الجزء الأكثر قدما في الجهاز النفسي، ولا يتضمن إلا تمثلات عن الأشياء لا تعرف لا النفي ولا الشك ولا تحترم قواعد المنطق ولا الزمان المنتظم. د) الرقابة : وهي هيئة خاصة تفسح المجال لمرور ما يرضيها وما لا يزعجها فقط، وتحتجز ما عدا ذلك. وما تحتجزه وتستبعده يكون في حالة كَبْت ويُشكّل المحتويات المكبوتة. ولا تفْتُـر حِدة الرقابة إلا في بعض الحالات مثل حالة النوم.

أما في التصور الثاني فيميز فرويد ما بين : أ) الهو : ويُعتبر لاوعيا كُليةً، وثابتا، والأكثر بدائية، وخزانا لليبيدو الجنسي ورغبات أخرى مثل الرغبة في السيطرة والتحكم واللذة والمعرفة. وهدفه هو تحقيق لذة مباشرة. ب) الأنا الأعلى : يعتبر لاواعيا في معظمه، يتميز أيضا بالثبات ويمارس الكبت والرقابة، وهو نتيجة استبطان رغبات الأبوين وأوامرهما ونواهيهما. ج) الأنا ويُوجَد معظمه ضمن الوعي، ليس ثابتا كُلّية، يعمل جاهدا لتحقيق توازن ما بين ممنوعات ومكبوتات الأنا الأعلى ورغبات الهو من جهة، وضرورات ومتطلبات الحياة الاجتماعية من جهة ثانية.

ويتحدد معنى اللاوعي من جهة أخرى انطلاقا من موقعه داخل شبكة أهم المفاهيم الفرويدية وعلاقاته بها وتفاعلاته معها. تلك المفاهيم التي يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال النقل (وهو انفصالُ أهميةِ تمثل مُعين عن هذا التمثل وانتقالها لترتبط بتمثلات أخرى أقل أهمية، لكنها ترتبط بالتمثل المهم عبر الترابط والاقتران والتداعي، وهو ما يجعل خاصيةً ثانوية غير مهمة في سرد معطيات معينة، تكتسي أهميةً قصوى في التأويل الذي يمارسه التحليل النفسي. يتعلق الأمر بنقل مشاعر وعواطف، ونقل لغة إلى صلب لغة...) والحلم (الذي هو أهم معطى يثبت وجود اللاوعي، والذي يقود تحليله وتأويله إلى إيجاد الآليات الرمزية للحياة النفسية وآليات تشويه الرقابة مادام الحلم عند فرويد هو التعبير المقنَّع عن الرغبات المكبوتة) وزلّات اللسان والقلم، والهفَوات (التي تعتبر أبرز مثال على كيفية تكون التواطؤ ما بين اتجاهين نفسيين أو ميلين متعارضين حيث يمكن التعبير عنهما معا عبر الهفوات) والنسيان، والتكثيف (وهو تمثل لاواعي تجتمع فيه بشكل مركز عدة عناصر تخص تمثلات أخرى) والتداعي الحر (الذي عَوَّض التنويم المغناطيسي) والكَبْت (الدفاع ضد الدوافع الغريزية، أي قيام الأنا بصدّ وإبعاد التمثلات المزعجة والبغيضة والمستنكرَة عن الوعي لكونها لا تتوافق مع الواقع من منظور الأنا)...

تولّدت عن إسهام فرويد التأسيسي إسهامات عديدة، مُكملة ومُنتقدة، تمتْ على شكل انشقاقات مذهبية أو استمرارية مبدئية. فكارل غوستاف يونغ (1875 ـ 1961) C. G. Jug أسس علم النفس التحليلي وارتكز على مفهوم اللاوعي الجمعي. وألفرد آدلر (1870 ـ 1937) A. Adler أسس علم النفس الفردي وارتكز في تحليله على عقدة النقص والتعويض المفرط الهادف إلى الحصول على قيمة أكثر للذات. وولهلم ستيكل (1868 ـ 1940) W. Stekel أسس جمعية الأربعاء للتحليل النفسي كما خضع للتحليل من طرف فرويد. وساندور فرينزي (1873 ـ 1933) Sandor Ferenczy اهتم بالمراحل الأولى للطفولة وخاصة فيما يتعلق بتكون الجهاز النفسي كما اهتم بظاهرة الإقحام والتقمص، حيث يقوم المريض بإدخال أقصى ما يمكن من الأشياء الخارجية إلى أناه من خلال تحويلها إلى استيهامات لاواعية. ودونالد وينيكوت (1896 ـ 1971) Donald Winnicott اهتم بظاهرة اللعب والإبداع. وهانز هارتمان (1894 ـ 1970) Heinz Hartmann أسس علم نفس الأنا. وجورج غرودك (1866 ـ 1934) Georg Groddeck تبادل مراسلات مع فرويد، ولم يكن متفقا مع كل ما جاء به هذا الأخير، ودافع على أن كل مرض عضوي هو في نفس الوقت مرض نفسي جسدي، وبلور مفهوم الهو قبل فرويد. وأوتو رانك (1884 ـ 1939) Otto Rank أبدع مفهوم «صدمة الميلاد» واهتم بما يوجد قبل عقدة أوديب، وتم إقصاؤه من حلقات التحليل النفسي الفرويدية. وآنا فرويد، ابنة فرويد، ساهمت في زعزعة تصورات فرويد حول جنسانية المرأة، وانتقدت عقدة أوديب واهتمت بظاهرة «التماهي مع المعتدي»، واهتمت بالتحليل النفسي للأطفال، وعبرت عن اختلافها مع ميلاني كلاين، رائدة التحليل النفسي للأطفال، لأنها ترى أنه بدل أن تقوم ميلاني كلاين بإنجاز نقل إيجابي وتقوم بدور بيداغوجي وتربوي تجاه الطفل الخاضع للتحليل، تعتمد على العكس من ذلك على تقنية اللعب التي هي المقابل للتداعيات الحرة المستعملة لعلاج

الراشدين. وكارل أبراهام (1877 ـ 1925) Karl Abraham اهتم بمراحل تطور جنسانية الأطفال، وقسّم المرحلة الفمية إلى مرحلتين فرعيتين هما مرحلة فمية مبكرة ومرحلة فمية سادية، كما اهتم بالصدمة الجنسية. وميلاني كلاين (1882 ـ 1960) Mélanie Klein تخصصت في التحليل النفسي للأطفال، وخضعت للتحليل على يد كارل أبراهام، واعتمدت تقنية اللعب لعلاج الأطفال من منظور التحليل النفسي. ورونيه لافورغ (1894 ـ 1962) René Laforgue أسس الحلقات الفرويدية الأولى في فرنسا، وكانت له مراسلات مع فرويد، كما أشرف على تكوين فرانسواز دولتو. وإرنست كريس (1900 ـ 1957) Ernest Kris اهتم بتاريخ الفن، ويعتبر أحد أهم ممثلي التيار النظري لعلم نفس الأنا. ودانييل لاغاش (1908 ـ 1972) Daniel Lagache كان وراء مشروع معجم التحليل النفسي، وأشرف على إنجازه من طرف جون لابلانش وجون برتراند بونتاليس. وفرانسواز دولتو (1908 ـ 1988) Françoise Dolto اهتمت بالتحليل النفسي للأطفال، واعتبرت الطفل شخصا، كما اعتبرت الحركات والنظرات لغة، وَأولَتْ لقولِ الحقيقة للطفل أهمية كبيرة لدورها في بناء شخصيته، كما بينت أهمية تشكل الصور اللاواعية للجسد لدى الطفل عبر الرسومات، وأبدعت مفهوم «عقدة سرطان البحر» للتعبير عن أزمة المراهقة. وحنا سيغال (1918 ـ 2011) Hanna Ségal اعتمدت مفهوم «المعادلة الرمزية» في دراسة إدراك الأطفال للهوية. ثم جاء جاك لاكان (1901 ـ 1981) Jacques Lacan ليحدث ثورة في مجال التحليل النفسي اعتمادا على اللسانيات تحت شعار العودة لفرويد.

وبالرغم من هذا الزخم الهام من الإسهامات والنقاشات والنظريات، فلقد تعرض التحليل النفسي ، واللاوعي على وجه الخصوص، لانتقادات فلسفية وعلمية ونفسية أساسية. فلقد تم نشر «الكتاب الأسود للتحليل النفسي» سنة 2005، وهو عبارة عن نقد لاذع يعتمد على معطيات العلوم

العصبية. كما نشر ميشال أونفري Michel Onfray كتابه «أفول صنم، أكذوبة فرويد» الذي أراد من تأليفه تفنيد أطروحات التحليل النفسي. واعتبر الفيلسوف فتجنشتين Wittgenstein التحليل النفسي نوعا من الأسطورة، وعَبَّر عن رفضه للحتمية التي تنتج عن وجود اللاوعي. أما الفيلسوف ألَنْ Alain فقد قال إن «اللاوعي هو احتقار للأنا، وعبادة للجسم». وقال أدولف غرامبوم Adolf Grunbaum إن «التحليل النفسي هو علم زائف». كما انتقد كارل ياسبرز Karl Jaspers الغموض الذي يكتنف منهج التحليل النفسي كما انتقد طابعه التسلطي. أما سارتر (1905 ـ 1980) Jean Paul Sartre فقد رفض مفهوم اللاوعي كما عَرَّفه فرويد، وقال إن ما يسميه فرويد باللاوعي ليس إلا الوعي الشَّقِي، أي رفض الإنسان أن يرى ما قام بكبته، بالرغم من أنه شاهدٌ على ذلك، فبدون اطلاع الإنسان على عملية الكبت لن يوجد كبت. إن اللاوعي بالنسبة لسارتر ليس إلا منطقة من الوعي يرفض الإنسان رؤيتها لأنه عاجز على أن يتمتع بالنزاهة مع نفسه. وأخرج كارل بوبر Karl Popper التحليل النفسي من مجال العلوم لأنه غير قابل للتفنيد. أما الماركسيين، باستثناء تروتسكي، فيرون فيه مجرد علم برجوازي. وبالرغم من هذا الموقف السياسي منه تشكل تيار يُنعت بالفرويدي الماركسي ومن أهم أعلامه : أوتو فينيشال (1897 ـ 1946) Otto Fenichel، ووهلم رايش (1897 ـ 1957) Wilhelm Reich، وهربرت ماركوز (1898 ـ 1979) Herbert Marcuse.

كما يجب أن نذكر الفيلسوف الفرنسي لويس ألتوسير (1918 ـ 1980) الذي أعاد قراءة الماركسية انطلاقا من أطروحات فرويد. بالإضافة إلى النقد الأساسي الذي قدمه جيل دولوز (1925 ـ 1995) ، وفيليكس غاتاري (1930 ـ 1992) للتحليل النفسي والمتمحور حول مفهوم الذات.

يتضح من خلال هذه المعطيات الأهمية النظرية والتاريخية بل والعلمية للأبحاث المتعلقة بمفهوم اللاوعي. فهو مفهوم يسكن جميع المجالات

الفكرية ويواجهها بأسئلته وخلفياته وامتداداته إضافة طبعا للخلفيات الفلسفية والعلاجية للتحليل النفسي ككل، والنصوص التي نقترحُها على القَارئ تُقرِّبُ التصَورات والاتجاهات التي تدور حول هذا المفهوم.

I. تحديد المفهوم

I . 1. معانٍ اللاوعي المتعدِّدة

معجم التحليل النفسي

اللاوعي هو مجموع الظواهر الفسيولوجية (الغرائز والأفعال اللاإرادية) التي تحدد علاقة الجسد بالوعي، أي أن اللاوعي في هذه الحالة هو مفهوم سلبي بالمقارنة مع الطابع الإيجابي التجريبي أو المثالي للوعي. ويمكن تعريف اللاوعي أيضا بأنه لا وعيُ إرادةٍ أو قوة، وهو المعنى الذي نجده عند فريدريك نيتشه وأرثور شوبنهاور. أما بالنسبة لليبنز، فيتعلق الأمر بلاوعي الإدراك (نظرية الإدراكات الصغرى، مفهوم الأثر أو الانطباع المدرك). وسيعرف علم النفس فيما بعد اللاوعي الإدراكي الذي يسمح بمعرفة خطاطات السلوك والفعل. وفي بداية القرن العشرين عرَّف علماء النفس اللاوعي كـ«مُراكِم للطاقة».

إن ما يميز كل هذه التصورات عن اللاوعي حسب تصور فرويد هو باختصار اكتشاف التحليل النفسي لـ«**لاوعي الغريزة**». ولقد أدت الأهمية القصوى للاوعي في التحليل النفسي ـ إلى حد أنه شَكَّلَ تميزَه النظري والتقني ـ إلى تعريف منفتح حتى لا يصبح مجرد موضوع للدراسة، وحتى يتم فهمه في مَعانيه الديناميكية. تطلق كلمة اللاوعي، بالنسبة لفرويد، على كل سيرورة نفسية تمت البرهنة على وجودها من خلال مظاهرها في الوقت الذي نجهل عنها كل شيء، بالرغم من حدوثها فينا، أي أن الأمر يتعلق بكل سيرورة نقبل حضورها الفعلي فينا دون أن نعلم في نفس الوقت عنها شيئا. اعتبر فرويد اللاوعي في البداية نظاما أو مستوىً أو رُكنا يتميز بخصائص أساسية هي فعل الكبت، وآليات التكثيف والنقل. وتوظف محتويات اللاوعي ـ في

علاقتها برغبات الطفولة ـ غريزيا، ولا يحدث ظهورها في الوعي (نظام ما قبل الوعي ـ الوعي) إلا عبر التواطؤ (عمليات تشويه الرقابة). وفي التصور الثاني، فيما بعد، سيعرف فرويد اللاوعي بأنه الوصف المخصص للهو وللأنا وللأنا الأعلى.

Dictionnaire de la psychanalyse, Larousse, 1983, p. 17 - 18.

I . 2. اللاوعي النفسي

أندري كونت سبونفيل

اللاوعي هو كل ما كان بإمكانه أن يكون واعيا من الناحية النظرية، لكنه لا يستطيع ذلك عمليا لأن الكبت والمقاومة يعترضان سبيله. اللاوعي هو لاوعي نفسي كما قال فرويد، وهذه هي المفارقة التي يرتكز عليها هذا التعريف : إن القول بأن اللاوعي هو لاوعي نفسي يشبه القول إن النفس بدون نفس، وإن الفكر بدون فكر، وإن الذات بدون ذات. وهذا أمر مشكوك في حدوثه، أمر غير أكيد. من الممكن أن يكون اللاوعي هو حقيقة النفس التي لا يشكل الوعي فيها إلا القمة المهدَّدة دوما، والتي يجب العمل على تسلقها باستمرار. إن هذا الفهم للاوعي يتجاوز حدود التحليل النفسي. لو كان الفكر قادرا على التفكير في نفسه لصار هو المطلق، لذلك يَحُول اللاوعي بينه وبين ذلك. يجب تجنب عبادة الوعي، بل يجب تجنب الاعتقاد في صلاحيته بدون تحفظ. لكن اللاوعي نفسه ليس هو المطلق، لذلك حينما يتحول التحليل النفسي إلى ديانة يصبح مجرد خرافة تُضاف إلى بقية الخرافات الموجودة.

André Comte ـ Sponville, *Dictionnaire philosophique*, PUF, 2011, p. 513.

I . 3. اللاوعي حسب فرويد

كاترين بونينغ

لم يكن للاوعي وجود قبل فرويد، أو كان وجوده مجرد وجود تلقائي وعشوائي. فهو إذن من إبداع فرويد. إنه مسلمة نجد مقدماتها في نظامه النفسي. لقد صيغ بالوسائل المتاحة لإيجاد مرتكز للممارسة التحليلية. لا نعرف ما هو اللاوعي معرفة نهائية. هو في حاجة دائمة متجددة للتعريف به. له أكثر من واجهة. لم يحدد فرويد وضعه تحديدا دقيقا. ويجب انتظار «جاك لاكَانْ» ليقوم بذلك.

يعتبر الحلم الطريقَ الأمثَل لبلوغ اللاوعي الفرويدي. إنه لاوعي يتكلم، يقول الحقيقة، يخضع للعمليات الأولية، يرتبط باللذة التي هي غايته، وهو في نفس الوقت إشباع ومتعة، يقبل التأويل وحل رموزه لأنه ملغز. إنه يُؤَولُ ولا يقول أي شيء إلا عبر أقنعة وترميزِ قصدِه ومعناهُ، فهو رهين بالمعنى وبآثار المعنى. هو متعة وترميز يبرز من اللامعنى الذي يحدث نقصا في المعنى. هو انشقاق. وإذا كان يُقرأ، بما أنه كلام، فهو يُكتب أيضا. هو قواعد نحوية. لاحظ فرويد أن اللاوعي مكون من أفكار، وقام بعزل كيانه التكراري، واستخرج منه الذاكرة اللاواعية باعتبارها آلية للتكرار. اللاوعي الفرويدي يفكر. هو مجموعة أسباب، أي آثار لغة بدون كلام، حيث الذات لم تُمثّل بعدُ. ومن خلال الفحص السريري للهستريا قرأ فرويد اللاوعي في «مايُقَال». وحدد موقعه ـ من خلال الكلمة الملتبسة الساخرة ـ في «مشهد آخر»، وليس في الذات. وعرّفه، عبر الفحص السريري المتفرد لـ«رجل الذئاب» ـ بشكل متزامن كتاريخ. لا يعرف اللاوعي لا التناقض ولا الزمن. إنه يعيد المماثل باستمرار، كيفما كان الزمن الذي مضى، يهدمُ الصدفة، لكنه يعرف المكان، ولقد رسم فرويد خريطته وأعد وصفا لمكانه وموقعه. اللاوعي الفرويدي واقعي، بالمعنى العلمي، ولكنه أيضا فرضية، واقع مفترض، يُستدلّ عليه

انطلاقا من آثاره التي تُدركُ وتتسبب في نتائج وخيمة وفي تَدخُّلِ أشياء غريبة. وهذا الاستدلال هو نفسه حل للرموز. يكمن واقع اللاوعي في تمثلاته التي يوظفها الليبيدو الذي تم تحويله، وفي الاستيهام أي في الدال المكبوت التي تم توظيفه. أي أن اللاوعي يكمن في واقع استيهامي. يُثبت فرويد أن اللاوعي يُواجه الخطاب العلمي بوقائع من الأنا الأعلى وبأفعال قهرية، حيث لا تعرف الذات بالمرة أية قوة تحركها. يقيمُ اللاوعي الفرويدي استمرارية، يُحدث ثقبا، إنه حل لاستمرارية، انقطاع، فصل ممنوع، استمرارية الخطاب الواعي.

كاترين بونينغ، Catherine Bonning

www.causefreudienne.net/quest_ce que_linconscient_3/

I . 4. فكرةُ اللاوعي في الفلسَفة

أنسكلوبيديا لاروس

بالرغم من أن فكرة اللاوعي كانت حاضرة في التفكير منذ زمن بعيد، فإن المصطلح لم يظهر في الفلسفة الغربية إلا إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فديكارت وضع الوعي بالذات في مركز التأمل الفلسفي، ومنذئذ صار ضروريا التساؤل عما ليس وعيا، أو التساؤل عن اللاوعي الذي يميز بعض الحالات النفسية. أما شوبنهاور ونيقولاي هارتمان فقد حددا اللاوعي كإرادة داخلية تنفلت من الفرد وتمتزج بإرادته في أن يحيا.

وفي تصور آخر مرتبط بفلسفة التمثل (كانط وهيجل)، يُستعمل مصطلح اللاوعي قبل كل شيء لتمييز الأفكار والصور والإحساسات التي لا يصل إليها وعينا مباشرة، سواء بصفة دائمة أو مؤقتة. وفي هذا السياق يتحدث بعض الفلاسفة عن «لاوعي آلي» (جيل دولوز وفيليكس كاتاري) لإبراز أن اللاوعي مأهول ليس فقط بصور وكلمات، ولكنه مأهول أيضا بآليات تقوده إلى إعادة إنتاج هذه الصور وهذه الكلمات.

www.larousse.encyclopedie/divers/inconscient/60660

I . 5. اللاوعي في علم النفس

أنسكلوبيديا لاروس

يحيل مفهوم اللاوعي في علم النفس الكلاسيكي على انشطار الإنسان إلى جزء واعي عقلاني، وجزء خفي يخضع لرغبات لا يمكن الوصول إليها. ولقد تم إدراك هذا الانشطار إبان القرن التاسع عشر، وبالخصوص تحت تأثير الطبيب الألماني فرانز أنتون مِسْمر، وعلى إثر دراسة السّرنَمَة (المشي أثناء النوم) وممارسة التنويم المغناطيسي. ولقد لاحظ علماء النفس الذين اهتموا بهذه الظواهر وجود حالتين للوعي : يتصرف الفرد في الحالة الأولى حسب إرادته العقلانية والواعية، وفي الحالة الثانية التي يتصرف فيها بكيفية غير متوقعة تثبتُ عدة ميولات نفسها وهي ميولات تعرضت للحجب من طرفه.

وستقوم مدرسة طبيب الأعصاب شاركو والفسيولوجي ألفريد بينيه والطبيب النفسي بيير جانيه بالتفكير النظري في هذا الانشطار بالحديث عن لاوعي أو عن ما قبل الوعي للإشارة إلى الحالة الواعية التي تنفلت منا، والتي تعتبر مصدر العديد من السلوكات. يَعتبرُ بيير جانيه الحالة الذهنية للمصابين بالهستريا نتيجة للاضطرابات المتولدة عن اللاوعي. وبذلك حلّ التصور النفسي للاوعي محلّ تصور الاضطرابات النفسية الوراثية.

وإذا كانت المقاربة الجديدة قد حققت تقدما، فإنها حافظت مع ذلك على بعض سلبيات النظرية السابقة، وبالخصوص كونها جعلت من اللاوعي سبب جميع الشرور. وككل تفسير شامل وأحادي، تم التركيز على الاضطرابات دون مساءلة سيرورات تشكلها المعقدة جدا، وضعفها الرئيسي هو تشييء اللاوعي وجعله واقعا في ذاته، كما نجد ذلك عند نيقولاي هارتمان.

يُستعمل مصطلح اللاوعي، في الفسيولوجيا الأكثر راهنية، بكيفية دقيقة : يطبق المفهوم في مجال تحليل السلوكات الإنسانية لتمييز بعض مظاهر معالجة المعلومة واتخاذ القرار. ويثابر علماء النفس على وجه الخصوص من

أجل التأكيد على أن جزءا كبيرا من السيرورات الذهنية التي يدرك الفرد المعطيات من خلالها، ويعالج المعلومات ويتخذ القرارات... تَنفلتُ من الوعي، وتهدف الأبحاث بهذا الخصوص إلى فهم السيرورات المعنية من خلال وسائل تحليل مختلفة بكيفية تسمح بالقيام بتعديلات لتجاوز الصراعات التي يمكن تنتج عن ذلك.

www.larousse.encyclopedie/divers/inconscient/60660

I . 6. فرويد والمعنى الجديد للاوعي

أنسكلوبيديا لاروس

لم يكتشف فرويد مفهوم اللاوعي بالمعنى الدقيق للكلمة. لكنه منح لمصطلح وُجِد سابقا معنى جديداً. وسيعمل جاهدا على إضفاء الشرعية عليه، اَرتكازا على أبحاثه الشخصية (...). ولقد أدت فرضية اللاوعي الفرويدية من تأسيس «علم نفس الأعماق»، و«ما وراء علم النفس»، أي التحليل النفسي. وتسمح فرضية من هذا القبيل بفهم بعض السيرورات المرضية اللاعقلانية المتكررة والمتعلقة بوجود الذات. وهذا الأمر يفسر أيضا اختراع فرويد لإستراتيجية علاجية نفسية، هي العلاج التحليلي النفسي، وهكذا بدأ إصلاح عميق سيؤدي إلى إنكار الكوجيطو الديكارتي، إصلاح يرتكز على أن «الأنا ليس هو السيد في بيته».

وإذا كان اللاوعي هو الجزء الذي لا يمكن الوصول إليه في كل فرد، إذا كان هو ما يلازم كل أفعال الفرد دون علمه، فإنه يملك بالرغم من ذلك بعض الخصائص المميزة له، كما أن فهم هذه الخصائص يشكل في حد ذاته ثورة :

اللاوعي فردي : ليس اللاوعي مكونا داخليا، ليس هو نفسه لدى الجميع. إنه ما هو خاص لدى كل فرد، ينبغي التصدي له في إطار منظور ذاتي. وكنتيجة لذلك، فإن الإنصات للاوعي يفترض قبل كل شيء أخذ التاريخ الفردي بعين الاعتبار، وردود أفعال الذات وعلاقاتها الأولية والمكونة لها.

اللاوعي «غيريّ» (يقوم على العلاقة مع الآخر) : إذا كان يحيل لما هو حميمي لدى كل فرد، فإنه لا يتكون ولا يكشف عن نفسه إلا في العلاقة مع الآخر. وهذه العلاقة بالنسبة لفرويد، هي علاقة تقوم على الكشف، وتقوم على الكيفية التي تمكن من اكتشاف ومعرفة والاعتراف بما يحدث في اللاوعي.

اللاوعي جنسي : إن جميع الرغبات اللاواعية يجب أن تندمج في الجنسانية التناسلية، بفضل عقدة أوديب على وجه الخصوص. وينتج عن ذلك أن مسألة اختلاف الجنسين وقبولها من طرف كل إنسان تقوم بدور مركزي وحاسم في عملية بناء وتنسيق لاواعية. ويؤكد فرويد بشكل راديكالي على أن الطاقة التي تُنشط اللاوعي هي طاقة جنسية، أي الليبيدو، وهو ما يعني أن الرهان هو دوما بكيفية أو بأخرى، تحقيق الإشباع.

اللاوعي مُكوّن على شكل بنية : لتفسير ما تعنيه وما تتطلبه هذه البنية، أعدّ فرويد بالتدريج نظامين : النظام الأول يميز ما بين جزء واع وجزء غير واع إضافة إلى مجال وسيط هو ما قبل الوعي تتم فيه التبادلات والتفاعلات، وهذا هو تصور فرويد الأول عن اللاوعي. أما التصور الثاني عن اللاوعي فيعتبر أن هناك ثلاث أركان للاوعي : الهو، الذي يعتبر لاواعيا بصفة تامة، الأنا الأعلى، الذي هو لاواعي في جزئه الأكبر، والأنا الذي يتكون من جزء واع وجزء غير واع.

60660/www.larousse.encyclopedie/divers/inconscient

I . 7. اللاّوعي واللغَة حسب لاَكَانْ

أنسكلوبيديا لاروس

يعتبر جَاكْ لاَكَانْ أن اللاوعي هو أفضل اكتشاف لمكتشف التحليل النفسي : فرويد. ويرى أن هذا المفهوم هو أحد المفاهيم الأساسية في التحليل النفسي. لكن في الوقت الذي ركز فيه فرويد على أولوية الكلمات والتداعيات، تبنى لاكان فرضية تقول إن «اللاوعي مركب كتركيب اللغة»، بالارتكاز على

اللسانيات البنيوية (فردناند دو سوسير، إميل بنفنيست، رومان جاكوبسون). وتحيل مرجعيات لاَكَانْ إلى هذا الترابط ما بين الرمزي واللاوعي.

«اللاوعي لغة» حسب لاَكَانْ، وهو «كون الكلام يتم وحده»، إنه «مجموع نتائج الكلام عن الذات في استسلامها لنتائج الدّال». يولي لاَكَانْ كل الأهمية لدور الدّوال في التمثلات الذهنية سواء كانت لسانية خالصة أو قياسية. لذلك فأخذ مختلف جوانب البنية بعين الاعتبار أمر ضروري لتفسير الصراعات المتكررة المميزة للاوعي.

يخضع اللاوعي لسيرورات خاصة : يُقال عن ظاهرة ما أو عن تمثل ما إنهما لاواعيان لما تنظمهما سيرورات أولية مثل التكثيف أوالنقل والاستعارة أو الكناية، والهفوات والزلات والكلمات الملتبسة الساخرة. يوجد نوع من التكافؤ ـ بالنسبة لِلاَكَانْ ـ ما بين الفعل اللاواعي والرغبة.

www.larousse.encyclopedie/divers/inconscient/60660

I . 8. المقاوَمةُ العاطِفية للاّوعي

كريستيان دُرُوسن وهيلين أوبَنهايم غلوكمان

قارنَ فرويد، في مقال له ظهر سنة 1917، الثورة التي أحدثها التحليل النفسي بثورة كوبرنيك وداروين. فكما أن الأرض لم تعد تعتبر مركزا للكون، وأن الإنسان ظهر متأخرا في الكون وينتمي للسلالة الحيوانية، لم يعد الأنا الواعي كذلك سيدا في مسكنه. فبعدما تلقى الإنسانُ إهانة أولى في المجال الكوسمولوجي، وإهانة ثانية في المجال البيولوجي، تعرض لإهانة ثالثة في مجاله النفسي ذاته. وباكتشافه للاّوعي، أوضح فرويد أن ما يحركنا في معظم أفعالنا، ليست البواعث التي نعتقد بشكل واعي أنها بواعثنا، ولكن ما يحركنا هو بواعث أخرى نجهلها والتي لا يمكن في كل الحالات معرفتها إلا جزئيا.

انتصبت صعوبة خاصة أمام الاعتراف الواقعي باللاوعي. فقبوله يعني بالفعل التخلي عن الزعم بالتحكم في الأفعال، وعن الرؤية الواعية والإرادة.

ولقد لاحظ فرويد أن نظرية اللاوعي تعترضها بالخصوص مقاومات عاطفية تفسر بعدم رغبة أي شخص في الاعتراف بلاوعيه، فيتم اللجوء للحل الأبسط الذي هو نفي إمكانية وجوده. ولم يفقد المشكل حدته بالرغم من الانتشار الكبير لمذهب التحليل النفسي. يوجد اليوم العديد من الأطباء النفسيين والفلاسفة الذين يقرون شكليا بوجود اللاوعي ولكنهم ينكرون وجوده عمليا من خلال تفسيراتهم الغريبة والمخزية. إنهم يرفضون وجوده لأنهم يعتقدون أنه من الأفضل أن يستعيد الوعي حقوقه حتى لا ينهار عالمهم الفكري الخاص.

Christian Derouesne, Hélène Oppenheim -Gluckman
www.universalis.fr/encyclopedie/inconscient/-1la-decouverte-freudienne/#

I . 9. تجليات اللاوعي وفعالياته

علي زيعور

اللاوعي هو تلك الناحية النفسية التي تبقى مجهولة من طرف الشخص، وهو قوة لا تخضع لعقل ولا لإرادة. يوجه السلوك توجيها بعيد المدى. هو نواة الشخصية، وله فعالية كبرى. كما أن المكبوتات اللاواعية هي التي تحدد الشخصية والسلوك ابتداء من السنوات الأولى في الحياة. والمكبوتات هي التي تعطينا معاني الأحلام وتكشف لنا أسباب العُصاب والعقدة النفسية. واللاوعي هو الذي يشكل مادة الأحلام التي تكشف بدورها عما هو مكبوت فيه، لأن الحلم هو تحقيق لرغبة مكبوتة، لذلك ينطلق المحلل النفسي عادة من الأحلام لإعادة اكتشاف اللاوعي ومعرفة أحوال شخصية فرد ما.

من السهل ملاحظة فعاليات اللاوعي في الحياة اليومية الاعتيادية فهو سبب ما يسمى بحالة «مستوى الوعي» أي الحالة التي نلاحظها عندما نقرر الاستيقاظ من النوم في ساعة معينة من الليل مثلا، فالعديد من الناس يستيقظون في الوقت المحدد أو قبله أو بعده بقليل (...)

ويعتبر اللاوعي مسؤولا عن بعض الأمراض العضوية التي تعرف في مجال الطب النفسي البدني. إن المكبوت في اللاوعي طاقة هائلة وله سلطة قوية على

الجسم. ومن الأمثلة على ذلك العمى النفساني الذي قد يصيب شخصا ما إلى أن يتخلص من المشكلة التي سببته، بينما تبقى العينان سليمتين من الناحية الوظيفية. بل إن الصداع الخفيف قد يكون حلا في بعض الأحيان للابتعاد عن شيء ما أو تجنبه، أي أن اللاوعي يقدم حلولا سلبية أو هجومية عوض الحلول العقلية.

وهناك أيضا أخطاء السمع وزلات اللسان. فقد نسمع شيئا نحب أن نسمعه، بينما يكون المتحدث قد قال شيئا مختلفا. ونفس الشيء في القراءة. كما أننا قد ننسى أشياء وتظل مكبوتة في اللاوعي، وزلات اللسان عديدة وتدل على حالة مكبوتة أو على صراع بين رغبتين. ويلجأ المحلل النفسي إلى اقتناص هذه الأغلاط والزلات اللسانية للوصول إلى لاوعي المُحَلل نفسيا. إنه يمسك بغلطة استماع لينطلق منها إلى المكبوتات أو إلى العقدة النفسية ومنشأ العُصاب. ذلك أن الغلطة هنا تكون مفتاحا أو هي التي تجسد الصراع الانفعالي الداخلي في الذات.

علي زيعور، **أحاديث اجتماعية ومبسطات في التحليل النفسي والصحة العقلية**، بتصرف، دار الطليعة، بيروت، 1986، ص 75 ـ 77.

I . 10. اللاّوعي الجمعِي

بيير داكو

إن يونغ هو الذي استعمل في مجال التحليل النفسي مفهوم اللاوعي الجمعي والأنماط الأولية والرموز. إن اللاوعي الجمعي مستودع لاواعي تغذيه الغرائز بصورة مباشرة، كغريزة المحافظة على البقاء وغريزة التناسل. وبإمكانه أن يحول أنفسا بكاملها وذلك ما نلاحظه في بعض الأحلام الكبرى، كما أنه يوحد الشخصية بواسطة الرموز الكبرى.

يعتبر يونغ من الخطأ اعتبار حياة الوليد النفسية صفحة بيضاء فارغة فراغا مطلقا. فالطفل يولد بدماغ حددته الوراثة تحديدا مسبقا، أي يتميز بصفات خاصة قبلية. فالطفل سيتصرف، إذا باغته ظرف خارجي، تصرفا

نوعيا قبليا وليس تصرفا كيفيا. فمكوناته القبلية غرائز موروثة ونماذج مكونة تكوينا مسبقا. ويترتب عن ذلك أن جميع هذه العوامل كانت أساسية لأجدادنا القريبين والبعيدين، وهي أساسية لنا لكونها مندمجة في الجهاز العصبي الموروث. فاللاوعي الجمعي هو المستودع الذي يحتوي على مجموع هذه الانفعالات اللاواعية، والفاعلة في نفس الآن، والتي ترجع إلى عهود الأزمنة الإنسانية السحيقة، وتحدّد رموزا قوية، وضروبا من الإبداع الفني، وديانات وحركات شعبية جبّارة.

يفيض اللاوعي الجمعي بسيل من الرموز والصور والشعر الخام. ففي حالة الفصم مثلا، تزول وظيفة الواقع، أي أن المصاب بهذا المرض النفسي يفقد اتصاله بالواقع اتصالا كليا ويظل دون رد فعل موضوعي، ويعيش حلمه الداخلي بوصفه لا مباليا، وينمو في ذهن المريض عالم تحكمه الهلوسة، لكن كل هذا ليس ضربا من التكثيف في الجنسية حسب يونغ، وإنما هو عالم خيالي يحمل سمات قديمة واضحة. فاللاوعي الجمعي هو نوع من السجل فوق الشخصي. إنه مجال لاواعي ذو أعماق لا يمكن سبرها بصورة عملية.

لا يمكن أن يصاب اللاوعي الجمعي بالمرض أبدا، وذلك لأنه غير شخصي. إنه لا ينتمي للتجربة الفردية. فالكبت والعقد والكفّ غير موجودة أبدا في اللاوعي الجمعي، بل هي موجودة في اللاوعي الشخصي. ويمكن وصف اللاوعي الجمعي بكائن عملاق عاش خلال ملايين السنين، وظل منذ آلاف السنين دون أن يطرأ عليه أي تغيير. فهو يستطيع أن يحيط بتاريخ الإنسانية كله بنظرة خاطفة. ويتذكر جميع التجارب الإنسانية العميقة، وجميع المخاوف والانفعالات، إنه موجود في كل فرد، والأفراد يسبحون بلاوعيهم الشخصي ووعيهم في هذا اللاوعي الجمعي خلال حياة برمتها.

إن اللاوعي الجمعي هو وعي سام، إنه إرث نفسي تشترك فيه الإنسانية كلها، دون تمييز في الثقافة أو العرق. ويتجلى هذا اللاوعي الجمعي من خلال الأنماط الأولية والرموز. وهكذا يمكننا من أن نصل

إلى أعمق أعماق الإنسان التي لم تتغير منذ الأبد.

بيير داكو Pierre Daco، انتصارات التحليل النفسي، ترجمة وجيه اسعد، بتصرف، مطبعة الرسالة، دمشق، الطبعة الثانية، 1986، ص : 326ـ329.

I . 11. ثلاثةُ أنواعٍ من اللاَّوعي

جون كوترو

الوعي هو وظيفة تطفو في بحر اللاوعي. وهو الأمر الذي جعل سارتر يقول إنه إذا لم نكن نعرف اللاوعي إلا عن طريق الوعي فمن الأفضل أن نفكر في هذه المسألة بجدية. يفترض فرويد وجود طاقة ليبيدية (الليبيدو، الرغبة، الدوافع الغريزية) تُكبتُ إذا لم تجد مخرجا لها. وبالتالي تظهر من جديد في شكل آخر : القلق، الصّد، أو عبر أعراض متكررة. ولقد سُمِي هذا النموذج بـ«النموذج الهيدروليكي».

تصف النماذج الحالية المستمدة من علوم المعرفة اللاوعي كمجموعة من السيرورات الآلية لمعالجة المعلومة. وهناك ثلاثة أنواع من اللاوعي، وبالرغم من الترابط الموجود فيما بين هذه الأنواع الثلاثة فإن أصل كل واحد منها مختلف عن أصل الـآخر كما أن وظائف كل واحد منها مختلفة عن وظائف الآخر.

اللاوعي البيولوجي أو العصبي

يوافق اللاوعي البيولوجي النشاط العصبي الآلي التلقائي، واشتغال الأعصاب والغُدد الصُمّ. ويعتبر قاعدة للسيرورات المعرفية الواعية والعواطف. ولقد مكّنت أعمال «لودو» (Le Doux) من تحقيق فهم ممتاز لبيولوجية العواطف وعلاقة هذه الأخيرة بالمعارف. يقوم الوعي بدور ضعيف في هذا النوع من التعلم، الذي تم في بنيتين عصبيتين تنتميان لبنيات بدائية للدماغ العاطفي : المهاد البصري في الدماغ ولوزة الحلق، وكذا جذع

المخ. ويتم تعلم الخوف وردود الفعل المحزنة من خلال اتصال بقشرة الدماغ الأمامية باستعمال قناة مختصرة. وتستعمل هذه القناة لما يتعلق الأمر بأجوبة مباشرة تخص البقاء على قيد الحياة : الفرار، المواجهة، وخوض الصراع، أو عدم القيام بأية حركة والبقاء في حالة جمود. هذه الطريق المختصرة تقابل إذن سيرورات الإشراط الكلاسيكي (التعلم عن طريق المثير والاستجابة).

وتضاف إلى تلك القناة المختصرة قنوات طويلة ستسمح بمعالجة واعية ومتأنية للمعلومة. إنها تنوب عن المناطق الأمامية الجبهية التي تشكل جزءا من القشرة الجديدة للمخ. إن إصابة قشرة المخ الأمامية الجبهية بأذى سيمنع تقلص أجوبة الخوف والحزن بالتعرض المتكرر لوضعيات مثيرة للحزن. يقوم الوعي إذن بدور في سيرورات التعود، فالأشخاص الخاضعون لاضطرابات عاطفية هامة يستعلمون خصوصا القناة القصيرة الآلية التلقائية واللاواعية، وهو ما قد يفسر ردود أفعال مبالغ فيها تعبر عن الغضب والعنف أو الخوف.

يمكن لتشوهات التبليغ العصبي، الوراثية والمبرمجة، أن تؤدي إلى اختلال الشبكات العصبية، حسب أحداث الحياة الفردية المعاشة من طرف كل شخص. إن المعطيات الحالية لعلم الوراثة تبين أن القابلية للوراثة لا تمثل إلا 40 % من أصل الاضطرابات النفسية، وتظل النسبة المتبقية قابلة للتفسير بسيرورات اجتماعية، وسيرورات تتداخل فيها العلاقات بين الأشخاص والتطور النفسي الفردي وتطور الأحداث في حياة الفرد. وبتعبير آخر يقوم العامل الفِطري بدور فعلي، ولكنه لا يفسر كل شيء في هذا المجال. وفي ما يخص الأسباب المحتملة، تظل هناك مكانة كبيرة للأسباب النفسية والاجتماعية، كما أن التدخلات النفسية العلاجية تغير النتائج.

وفي مواجهة الأجوبة العاطفية المبالغ فيها والمرضية تؤثر أنواع العلاجات المعرفية السلوكية على المواقع الدماغية بنفس الكيفية التي تؤثر عليها الأدوية في أغلب الأحيان. ولقد تمت البرهنة على ذلك من خلال المناهج المستعملة في مجال الصور العصبية للدماغ في الاستيهام (أو الهُجاس) والاضطرار

التكراري والرُهاب الاجتماعي والإنهاك النفسي ورهاب العناكب.

اللاوعي الاجتماعي

اللاوعي الاجتماعي هو نتيجة لآثار تربيتنا علينا، ولكنه أيضا نتيجة للصدمات الخطيرة التي بوسعها أن تطبع أثرها على شخصية كل واحد منا، ونتيجة الأساطير والثقافة المؤثرة على الأفراد بدون علمهم... ويتعارض الضبط الآلي الناتج عن المحيط مع التصور القائل بالمراقبة الذاتية أو تقرير المصير ذاتيا. فلا أحد يخضع كليا لاستبداد عالم الدوافع الغريزية اللاواعية أو لاستبداد المحيط. يمكن للقدرة على المراقبة الذاتية أن تتطور، إبان العلاجات السلوكية والمعرفية التي اهتمت كثيرا بهذا المشكل. لقد بينت تلك العلاجات أنه لا يكفي أن تتراكم بواعث الفرد الداخلية في وعيه ليحصل على التغيير. بل يجب أيضا أن يعي كل شخص ما يوجد خارجه ويراقبه أحيانا مراقبة تامة.

تقترح نظرية التعلم الاجتماعي لألبير باندورا التحرر من «اللاوعي الاجتماعي» وذلك بأن يتحكم الفرد في سلوكه. سيطر التحليل النفسي على وعي الفرد ببواعثه الخاصة، بينما ستقترح نظرية التعلم الاجتماعي تطوير وعي الفرد الدقيق بتأثير المحيط عليه.

اللاوعي المعرفي

اللاوعي المعرفي هو الذي يقابل مجموع السيرورات الذهنية الآلية ، وتخصص النماذج الحالية مكانة هامة لمفهوم الخطاطة المعرفية.

Jean Cottraux, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions des Areines, 2005, p. 805 - 807.

II. ما قبل فرويد

II.1. اللاوعي حسب أفلاطون

جون كوترو

إن أول مقاربة للاوعي كانت هي مقاربة أفلاطون الذي قسم الروح في محاورة فيدروس إلى ثلاثة أجزاء : الجزء الأعلى الذي يقابل العقل هو «النّوس» (Noûs) الذي يقود حصانين : أحدهما مطيع وكريم هو «تيموس»، ويمثل العواطف الشجاعة والرغبات السامية. والآخر متمرد وجموح هو «إبيتوميتيكوس». ويرمز إلى الرغبات المادية الفظة. يمكن أن نرى في هذا التقسيم تصويرا مسبقا للخطاطة الفرويدية. فهذه الأخيرة تميز ما بين الأنا الأعلى (مثال الأنا) ويقابل جزئيا «تيموس»، والهو، الذي يعني عند فرويد عالم الدوافع الجنسية المكبوتة، ويمكن أن يحيل على «إبيبتوميتيكوس»، وأخيرا الأنا الذي يعمل جاهدا على التفاوض مع كل من الدوافع الجنسية والواقع ويمكن أن يحيل على «النّوس» (العقل).

Jean Cottraux, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions des Areines, 2005, p. 802.

II.2. هل نعرف السبب الحقيقي لأفعالنا ؟

باروخ سبينوزا

لم يتمكن أحد لحد الآن من تحديد ما يستطيع الجسد فعله،أي أن التجربة لم تخبر أحدا لحد الآن بما يقدر الجسد على إنجازه اعتمادا على قوانين الطبيعة وحدها، منظورا إليها في ماديتها فقط، وما لا يقدر على إنجازه بدون أن يكون محكوما بالنفس. وذلك لأنه لا أحد لحد الآن اكتسب معرفة

دقيقة جدا ببنية الجسم لتفسير كل وظائفه، ولن نتطرق لما نلاحظه في غالب الأحيان لدى الحيوانات والذي يفوق كثيرا رجاحة عقل البشر، ولن نتطرق أيضا للعديد من السلوكات التي يقوم بها الذين يمشون أثناء النوم ، والتي يعجزون عن القيام بها أثناء يقظتهم، كل هذا يبين بوضوح بأن للجسم القدرة على إنجاز العديد من الأفعال، اعتمادا على قوانين الطبيعة وحدها، القدرة على إنجاز العديد من الأفعال تجعل نفسه مندهشة. ومن جهة أخرى لا أحد يعرف وفق أي مبدأ وبأية وسائل تحركُ النفسُ الجسدَ، ولا كمية الحركة التي تخصصها له، ولا بأية سرعة تستطيع تحريكه لهذا السبب. لما يقول الناس إن هذه الحركة أو تلك من حركات الجسم تصدر عن النفس التي لها كل سلطة تامة عليه، لا يعرفون في الواقع ما يقولونه، ولا يفعلون شيئا آخر غير الاعتراف بلغة خادعة أنهم يجهلون السبب الحقيقي للأفعال التي لا تدهشنا.

Baruch Spinoza, *Ethique*, III, 2, scolie, seuil, 1999, p. 209.

3.II سطحية الوعي

فريدريك نيتشه

لا يواجهنا مشكل الوعي ـ و بتعبير أدق الوعي بذاتنا ـ إلا في اللحظة التي نشرع فيها في فهم أي سبيل سنسلكه للتخلص منه، وقد مكنتنا الفسيولوجيا وعلم الحيوان من احتلال موقعنا في الشروع في هذا الفهم (...)

نستطيع بالفعل أن نفكر وأن نحس وأن نريد وأن نتذكر، ويمكننا أيضا أن نقوم بعدة أفعال، بكل معاني كلمة «فعل» دون أن نعي كل ذلك. يمكن للحياة كلها أن تمر دون أن تنظر في مرآة الوعي، وهو الأمر الذي مازالت تقوم به. إن أكبر جزء من نشاط الحياة، بما في ذلك الجزء الأكثر تطورا المتمثل في الفكر والإحساس والإرادة يتم بالفعل، بالنسبة لنا، بدون انعكاس يمكنه من رؤية ذاته ولا تأمل. فما فائدة الوعي إذا كان غير ضروري لما هو أساسي في الوجود ؟

إن قوة وحِدَّة الوعي تبدوان لي دوما في علاقة طردية (كلما زاد العنصر الأول بمقدار زاد العنصر الثاني بنفس المقدار) فيما يتعلق بقدرة الإنسان (أو الحيوان) على التعبير في علاقة تناسبية مع حاجته للتواصل (...). لم يتطور الوعي إلا تحت ضغط الحاجة للتواصل، ولم يكن ضروريا ولا نافعا في البداية إلا داخل العلاقة بين إنسان وآخر (وخصوصا فيما يخص الإمرة والنفوذ)، ولم يتطور إلا في حدود ما اقتضته هذه المنفعة. ليس الوعي إلا شبكة من أفعال التواصل بين الناس، وبهذه الصفة وحدها أجبر الوعي على التطور : كان بإمكان الإنسان الذي كان يعيش منعزلا عن الآخرين، كحيوان مفترس، الاستغناء عنه. إذا تمكنت أفعالنا، من أفكار وأحاسيس وحركات، من بلوغ سطح الوعي ولو جزئيا، فذلك نتيجة ضرورية مرعبة سيطرت على الإنسان مدة طويلة، باعتباره الأكثر تعرضا للتهديد من بين جميع الحيوانات، والأكثر احتياجا للمساعدة والحماية، كان في حاجة لشبيهه، وكان مُجبرا على أن يعرف كيف يعبر عن هذه الحاجة، وأن يصبح قابلا للفهم، ولتحقيق كل ذلك، كان يجب في المقام الأول أن يكون له «وعي» وأن يعرف هو ذاته ما ينقصه، وما يشعر به، وما يفكر فيه.

إن الإنسان، مثله مثل أي كائن حي، يفكر باستمرار، لكنه يجهل ذلك، والفكر الذي يتحول إلى وعي لا يشكل إلا الجزء الضئيل، بل الأكثر سطحية، والأسوأ، من كل ما يفكر، لأن هذا الفكر هو الوحيد الذي يتم التعبير عنه عبر الكلام، أي عبر دلالات التبادل، وهو ما يكشف عن أصل الوعي. إن تطور اللغة وتطور الوعي أمران متلازمان. والمقصود بالوعي هنا ليس العقل، بل فقط العقل الذي صار وعيا بذاته. ولنضف أن اللغة ليست هي الوحيدة التي تستعمل كقناة تواصل بين الناس، بل هناك أيضا النظرة والضغط على موضع من الجسد، والحركة. لقد جعلنا من انطباعات حصلنا عليها عبر حواسنا وعيا واضحا جدا، واكتسبنا سلطةَ تثبيت تلك الانطباعات والتعبير عنها بشكل ظاهر، خصوصا وأن الضرورة أملت بقوة

التعبير عنها للآخرين عبر علامات. إن مخترع العلامات هو في نفس الوقت إنسان لا يتوقف عن أن يكون دوما أكثر وعيا بذاته. لم يتعلم الإنسان كيف يصبح واعيا بذاته إلا كحيوان اجتماعي، ولا زال يفعل ذلك أكثر فأكثر.

لا ينتمي الوعي، في اعتقادي، إلى الوجود الفردي للإنسان بالأساس، ولكنه ينتمي على العكس من ذلك إلى جزء من طبيعته التي يشترك فيها مع كل قطيع، ولم يتطور بدقة ـ كنتيجة لذلك ـ إلا في حدود كونه نافعا للجماعة، للقطيع، وبالرغم من الإرادة المثلى التي بإمكانه توفيرها لـ«معرفة الذات»وإدراك ما هو أكثر فردية في الإنسان، لا أحد منا بإمكانه أبدا الوعي إلا بالجانب غير الفردي (...)

إن طبيعة الوعي الحيواني تجعل العالم الذي يمكن أن نعيه عالما لما هو سطحي، وعالما للعلامات، عالما معمما، مبتذلا، وبالتالي كل ما يصبح وعيا يصبح سطحيا وهزيلا، وبليدا نوعا ما، يصبح شيئا عاما، علامة، رقما لقطيع، وأن كل عملية وعي بشيء ما تؤدي إلى تشويه عميق لذلك الشيء، عملية تزوير كبرى (...).

Frederick Nietzsche, *Le gai savoir*, Gallimard, 1950, 299 - 302.

II.4. اللاوعي بين نيتشه وفرويد

برسيفال بيلي

يقول «لانسلوت لاو وايت» (Lancelot Law Whyte) في مقدمة كتابه عن «اللاوعي قبل فرويد» معبرا بشكل ممتاز عن رد فعل العقلية الجاهلة والمغرورة عندما تواجه للمرة الأولى عرضا لنظرية مثيرة للاهتمام : «ترجع أصول هذا العمل إلى السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى عندما كان التحليل النفسي جديدا وقد تخيلت بسذاجة أن فرويد قد توصل للتو إلى اكتشاف اللاوعي. لم يشرح لي أي من أساتذتي أن الإنجازات الرئيسة هي عادة نتيجة تطور ثقافي ممتد على عدة قرون وعليه فقد أصبت بالارتباك

الشديد عندما تبينتُ أن نيتشه كان قد عرض عددا من نظريات فرويد قبله بأكثر من عشرين سنة ولم أستطع أن أفهم لماذا لم يذكر فرويد ولا دارسوه هذه الحقيقة الهامة». لم يتيسر لـ«لانسلوت لاو وايت» في ذلك الحين الاطلاع على شهادة «إرنست جونز» (Ernest Jones) التي جاء فيها بأن «فرويد لم يقرأ أبدا نيتشه»، لأنه كان يجد فكره صعبا جدا، ولم يكن يستطيع فضلا عن ذلك ربط هذه الشهادة بقول فرويد نفسه بأن «نيتشه كان أول سابر للاوعي». إن الدراسة التي قام بها «لانسلوت لاو وايت» تغنينا في هذا المقام عن تتبع كل التفاصيل المتعلقة بنظرية اللاوعي قبل فرويد.

برسيفال بيلي، Perceval Bailey، **نقد نظرية التحليل النفسي**، ترجمة محمد هلال، بتصرف، دار المناهج، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1999، ص : 72 ـ 73.

II .5. الطبُّ العقلي واكتشافُ اللاّوعي

ماري أندري شاربونو

ما الذي يتضمنه كتاب «تاريخ اكتشاف اللاوعي» لهنري إلنبرجي (Henri F. Ellenberger)ليُعتبر مرجعا أساسيا في مجال الطب النفسي ؟ إنه مؤلَّف تاريخي هدفه الأول هو رصد تشكل وتطور الطب النفسي الديناميكي، أي تاريخ اكتشاف اللاوعي واستعماله العلاجي. ويؤكد الكاتب على خصوصية هذا الجزء من تاريخ العلوم الذي ظل، أكثر من أي مجال آخر، غامضا ومليئا بالأساطير(...)

مكّن المنهجُ «التاريخي النقدي» المُعتمد من اكتشاف أحداث ذات أهمية كبرى لم تكن معروفة من قبل، وقدم أحداثا في قالب جديد، وقد مهد الطريق نحو تاريخ نقدي للأنسقة السيكو ـ دينامية الكبرى (...) ولقد تم التأكيد في إطار آتباع المسار الكرونولوجي للأحداث على تيارين منفصلين، وهما تطور مفهوم اللاشعور واستعماله العلاجي، وفي إطار البحث عن أصل هذا

الاستعمال، تم التطرق للعلاجات البدائية ومبادئها التقنية، من قبيل إعادة إدماج الروح المفقودة، واستئصال العضو المريض، طرد الشياطين والأرواح الشريرة، والعلاج عن طريق تخفيف الإحباط، والتنويم، والسحر، والاعتراف... وتم تقديم العديد من الوقائع التي توضح وتؤكد على أن تلك العلاجات تستحضر وجود قوى نفسية لاشعورية، سواء لدى المريض أو لدى المعالج، والهدف من تلك العلاجات هو التخلص من «الشر» بواسطة الطرق النفسية، وهو ما يشكل جوهر العلاجات الدينامية المعاصرة.

وقد أرجع «إلنبرجي» أصل الأبحاث النظرية حول اللاشعور إلى «مِسْمر» (F.A. Mesmer) الذي يرجع إليه الفضل في إعطاء وضع علمي لطرق العلاج بواسطة القوى اللاشعورية، وهو ما أعطى انطلاقة للطب العقلي الديناميكي سنة 1775، ففي هذه السنة، اقترح «مسمر» تفسيرا جديدا للفعل العلاجي لعملية طرد الشياطين والأرواح الشريرة الذي كان يمارسه أحد معاصريه.

تطور الطب العقلي بدون اعتراف من الطب الرسمي. فقد كان عالم الأعصاب الفرنسي «شاركو» (Charcot) هو من تجرأ، سنة 1882، على التعريف بالتنويم المغناطيسي عن طريق أكاديمية العلوم.

وتم التطرق لتطور الطب العقلي الديناميكي في مرحلته الأولى باستخراج مختلف العوامل الأساس التي تسمح بالحديث عن نسق، رغم تعاقب المقاربات. وكانت العديد من الوحدات، التي تعلن عن التطورات اللاحقة، قد شكلت لوحة منسجمة المكونات : التنويم المغناطيسي، الذي شكل في تلك اللحظة الطريق الأمثل لاكتشاف اللاوعي، الكيانات الإكلينيكية المعروفة في تلك الفترة مثل الشخصيات المتعددة والهستيريا، النموذج المزدوج للعقل الإنساني ، مفهوم «العلاقة» طبيب ـ مريض التي تجسد التحويل.

ما لبثت هذه المرحلة الأولى للطب العقلي أن انطفأت لتظهر مرحلة جديدة للطب العقلي الديناميكي، والتي تأثرت بمرحلة الأنوار، بالرومانسية

وبالوضعية وطريقتها في معالجة الطب العقلي، العلاقة بين الطبقة الاجتماعية للمرضى ونجاعة مختلف الوسائل العلاجية، أهمية المفكرين أمثال ماركس، نيتشه وداروين في العالم الثقافي للقرن التاسع عشر على سبيل الحصر.

من الرواد الكبار للطب العقلي في مرحلته الجديدة، نجد بيير جاني (Pierre Janet)، سيغموند فرويد (Sigmund Freud)، ألفرد أدلر(Alfred adler)، وغوستاف يونغ (Gustav Jung) غير أن هؤلاء الرواد لم يقطعوا الصلة مع المرحلة السابقة إذ ظلت العلاقة حاضرة بين تلك المرحلة وبين الأنساق الديناميكية الجديدة، التي نجد ضمنها التحليل النفسي. وحسب إلنبرجي لم تكن هناك ثورة تحليل ـ نفسية.

Marie Andrée Charbonneau, Henri F.Ellenberger, *Histoire de la découverte de l'inconscient*, vol 27 No 2, 2000 (p. 449 - 456)

II.6. التنويم المغناطيسي واللاوعي

روبير سيسْيون وُودْوُورت

إن الدراسات التي اهتمت «بخبرة» الإنسان أو «بفعله ووظيفته» أو «بسلوكه» تدرس جانبا واحدا من حياته العقلية، لابد أن يتممه جانب آخر، وهو جانب اللاوعي الذي يكمل الجانب الواعي، والحياة المرضية التي تلقي الضوء على الحياة السوية.

ومع أن التنويم ظاهرة قديمة معروفة عند الصوفية وعلماء الطبيعة منذ العصور القديمة والوسطى، فإن اختراع التنويم في النصف الأول من القرن التاسع عشر ـ على يد فريدرك مسمر (1734 ـ 1815) كان حدثا مهما. وكان مِسْمر طبيبا في فيينا، اختبر ـ بتأثير كتابات السابقين ـ ومايزال يؤمن بالمغناطيسية الحيوانية كقوة خفية من قوى الطبيعة. وبعد ثلاث سنوات، انتقل إلى باريس وزاول شفاء المرضى في حلقات مغناطيسية بجهاز أعِدّ لذلك، في ما يشبه الجلسات الروحية اليوم، وكانت النتائج إيجابية، وإن لم

تحظ بقبول العلماء والمفكرين الذين اتهموا مسمر بالدجل والشعوذة. لكن أتباعا مخلصين منهم العالم جون إليوتسن (John Elliotson) بدأ يزاول التنويم كمخدر علاجي يحمل في طياته إمكانيات علمية هائلة. كما أنشأ مستشفى للعلاج بهذه التقنية في لندن سنة 1849، رغم معارضة جمعية الجراحين الملكية التي اعتبرت التنويم عامل تخدير علاجي غير أخلاقي، بحجة أن الألم هبة حكيمة من الطبيعة، وأن على المرضى أن يعانوا الألم حين يقوم الأطباء بعملياتهم.

وفي مرحلة أخرى، استطاع جيمس بْريد (J.Braid) أن يقلص الهوة بين العلوم الطبية والتنويم المغناطيسي المسمري، وسمى طريقته بعلم التنويم العصبي ، وهو تنويم يحدث بموازاة عضلات الجفون الرافعة عن طريق عملها المستمر خلال التحديق الثابت المتراخي، ومهد هذا التغيير الظاهري لقبول التنويم وإزالة الهوة بينه وبين العلوم والمهن الطبية، ذلك لأنه يتجه إلى المريض عوض المسمرية التي كانت تضخم قوة التأثير المغناطيسي للطبيب... فقيل إن التنويم بمعناه الحقيقي بدأ مع العالم بْريد، وهو الذي وضح حقيقته للعالم عندما فسره بالإيحاء النفسي.

روبير سيشيون وُودْوُورت، (Robert Sessions Woodwort)، مدارس علم النفس المعاصرة، ترجمة كمال دسوقي، بتصرف، دار النهضة العربية، 1971، بيروت، ص20ـ22.

II.7. العلم واللاوعي قبل فرويد

جاك فان ريلاير

ليس فرويد هو الذي اكتشف اللاوعي والهفوات. لقد سبق لعلماء إجرام ولسانيين وعلماء نفس أن نشروا قبل فرويد دراسات تبين أن خطأ معينا في الكلام يمكنه أن يترجم أحيانا فكرة تم إخفاؤها. ففي سنة 1880 قدم «هانز غروس» (Hans Gross)، الذي يُعتبرُ أبَ علم النفس القضائي،

سلسلة من الأمثلة عن متهمين وعن شهادات مُزوّرة تم الكشف عنها من خلال زلات اللسان وهفوات أخرى. ففي سنة 1895 نشر كل من «رودلف ميرانجر» (Rudolf Meringer)، المختص في مجال علم اللغة المقارن (الفيلولوجيا)، و«كارل مايير» (Karl Mayer)، الطبيب النفساني، كتابا كاملا حول زلات اللسان. فزلة اللسان الشهيرة لرئيس البرلمان النمساوي التي ذكرها فرويد، حين قال وهو يفتتح الجلسة : «أيها السادة، ألاحظ حضور العدد (كذا) من النواب، وأعلن نتيجة لذلك رفع الجلسة»هو مثال قدمه هذان الكاتبان في الأصل. وفي سنة 1900، خصصت المجلة الأمريكية لعلم النفس العلمي (Psychological review) عددا خاصا لزلات اللسان، وشرح «هارت باودن» (Hearth Bawden) اعتمادا على نظرية «هربارت» (Herbart) أن زلات اللسان تنتج عن صراع ما بين أنظمة ذهنية عديدة، ولم يصدر كتاب فرويد عن الهفوات إلا سنة 1901. والجانب الأصيل في هذا الكتاب قوله بالتداعي الحر للأفكار انطلاقا من زلات اللسان وصولا إلى محتوى جنسي، حتى حين يبدو أن هذا المحتوى لا علاقة له بالموضوع.

Jacques Van Rillaer, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions des Arènes, 2005, p. 435 - 436.

III. اللاوعي حسب فرويد

III.1. اللاوعي بين جانيه وفرويد

سيجموند فرويد

يمكننا أن نعتبر الكبت مركزا تتجمع حوله جميع عناصر نظرية التحليل النفسي. ولكن لدي ملاحظة جدلية أحب أن أبديها قبل ذلك. كان «جانيه»يرى أن المرأة الهستيرية مخلوق تعيس، أعجزها الضعف الجبلّي عن تحقيق التآلف بين الأفعال العقلية، وأنها لهذا السبب كانت ضحية لَلتفكك العقلي وضيق مجال الوعي. في حين أن مجال البحوث التحليلية النفسية بينت أن هذه الظواهر إنما نتجت عن عوامل دينامية ـ عوامل الصراع النفسي والكبت ـ ويبدو لي أن هذه التفرقة هي من الأهمية بحيث تكفي لوضع حدّ للزعم بأن كل ما له قيمة في التحليل النفسي مقتبس من آراء «بيير جانيه». لقد أوضحت أن التحليل النفسي مستقل تماما عن كشوف «جانيه»، فضلا عن أن مضمونه يتعارض معها ويتجاوزها، فما كانت بحوث «جانيه» لتنطوي على شيء مما أكسب التحليل النفسي أهميته. لقد كنت دائما أكن احتراما لجانيه، إذ كانت كشوفه تطابق إلى حد كبير كشوف «بروير»، التي تمت قبل الأولى وإن كانت نُشرت بعدها. ولكن فيما بعد، عندما أصبح التحليل النفسي موضوعا للنقاش في فرنسا، أساء لنا جانيه وكشف عن جهله بالحقائق واستخدم حججا مستهجنة، وأخيرا سقط في نظري وقضى على قيمة بحوثه الخاصة عندما صرح أنه إذا كان يتحدث عن أفعال نفسية «لاواعية» فإنه لم يكن يقصد بهذه الكلمة أكثر من تعبير مجازي.

ولكن دراسة عمليات الكبت المسببة للمرض وغير ذلك من الظواهر حتمت على التحليل النفسي أن يأخذ مفهوم اللاوعي مأخذا جديا. اعتبر

التحليل النفسي أن كل شيء نفسي هو في المقام الأول لاواعي، أما الخاصية الشعورية فقد تظهر وقد لا تظهر. أثار هذا بطبيعة الحال إنكار الفلاسفة، إذ كانوا لا يفرقون بين ما هو «شعوري» وما هو «نفسي»، واحتجوا بأنهم لا يستطيعون أن يعقلوا أن يكون ثمة «شيء نفسي لاواعي» في آن واحد. على أنه لم يسعنا إزاء هذا الضرب من تفكير الفلاسفة إلا الإهمال وعدم المبالاة. إن خبرتنا، التي حصلنا عليها من حالات مرضية لم يكن للفلاسفة بها علم، والتي أظهرت لنا أن ثمة دوافع عدة قوية لا سبيل إلى إدراكها إدراكا مباشرا، وإنما يستنتج وجودها شأن أي حقيقة في العالم الخارجي، وهذه الخبرة لا تدع مجالا لرأي مخالف. ويمكنني الإشادة بهذه المناسبة إلى أن الأمر لا يتعلق سوى بتفهم حياته النفسية على نحو ما يتفهم حياة غيره النفسية. فما كان المرء ليتردد في أن يعزو إلى غيره من الناس عمليات نفسية على الرغم من عدم شعوره بها شعورا مباشرا وأنه لا يستطيع إلا أن يستدل على وجودها من كلامهم وأفعالهم. وما يصدق على الآخرين ينبغي أن يصدق أيضا على الذات. فإذا حاول امرؤ أن يمضي بالاستدلال إلى أبعد من ذلك وانتهى منه إلى أن ما في نفسه من عمليات مختبئة إنما ترجع إلى وعي آخر تواجهه فكرة ذلك الوعي الذي لا يعرف المرء منه شيئا، فكرة «وعي لاواعي». وإن ذهب امرؤ مذهب بعض الفلاسفة، فيدخل في حسابه الظواهر المرضية، ولكنه يرى أن العمليات التي تستند إليها لا يصح أن تعتبر عمليات نفسية بل شبه نفسية، لأفضى الخلاف في الرأي إلى نقاش لفظي لا ثمرة له، ولكان الأصوب أن نحتفظ بعبارة «نفسي لاواعي» أما البحث في كنه اللاوعي فليس أصوب ولا أجدى من البحث القديم في كنه الوعي.

قد يكون أصعب علينا أن نبين كيف تسنى للتحليل النفسي أن يقوم بتمييز آخر في اللاوعي فيقسمه إلى ما قبل الوعي وما لاوعي حقيقة. ويكفي أن نذكر أنه بدا لي أمرا مشروعا أن ألحق بالنظريات التي كانت تعبيرا مباشرا عن الخبرة فروضا غرضها أن تعيننا على تفهم الوقائع، فروضا متعلقة بأمور

لا يمكن أن تخضع للملاحظة المباشرة. وليس هذا بدعا فقد نهجت العلوم السابقة نفس النهج. إن تقسيم اللاوعي بدوره يرتبط بمحاولة تصوير الجهاز النفسي بوصفه يأتلف من عدد من النظم الوظيفية نعبر عن علاقاتها المتبادلة بعبارات مكانية، دون أن يعني ذلك بطبيعة الحال أنه تقسيم يستند إلى التشريح الفعلي للمخ، وقد أطلقت على هذه الطريقة في تناول الموضوع الطريقة الطوبوغرافية.

سيجموند فرويد، **حياتي والتحليل النفسي**، ترجمة مصطفى زيور وعبد المنعم المليحي، بتصرف، دار المعارف، 1994، ص : 51 ـ 53.

III. 2. مشرُوعية اللاّوعي وضرورَته

سيجموند فرويد

إن مشكلة اللاوعي ليست مشكلة من مشكلات علم النفس قدر كونها مشكلة التحليل النفسي. وما دام علم النفس ينفض يده من هذه المشكلة بإيضاح لفظي مفاده أن «النفسي يعني الشعوري» وأن الحديث عن «عمليات نفسية لاواعية» تناقض ملموس، فقد امتنع كل سبيل إلى تقدير الملاحظات التي يحصلها الطبيب فيما يخص الحالات النفسية المرضية. ولا يستطيع الطبيب والفيلسوف أن يلتقيا إلا إذا سلما كلاهما بأن قولنا : «العمليات النفسية اللاواعية» هو «الحدّ الذي يعرف إعرابا ملائما مشروعا عن حقيقة موطدة توطيدا راسخا». ولا يسع الطبيب إلا أن يهز كتفيه حين يسمع من يؤكد له أن «الوعي سمة لازمة لما هو نفسي»، وربما قدر ـ إذا كان احترامه لأقوال الفلاسفة لازال قويا ـ أن هؤلاء لا يعالجون ذات الموضوع ولا يشتغلون بذات العلم. ذلك لأن ملاحظة واحدة ممتلئة بالفهم لأحد العصابيين، أو تحليلا مفردا لأحد الأحلام، لا بد أن يتركه وهو راسخ الاعتقاد بأن أشد العلمية الفكرية تعقدا ومعقولية، تلك التي لا نستطيع يقينا أن نأبى عليها اسم العمليات النفسية، قد تحدث دون أن تستثير شعور المرء.

صحيح أن الطبيب لا يستطيع أن يعلم شيئا عن هذه العلميات اللاواعية حتى تحدث أثرا في الوعي يمكن نقله إلى الغير أو ملاحظته، ولكن هذا الأثر الواعي قد يظهر خاصية نفسية تخالف العملية اللاشعورية كل المخالفة، بحيث يستحيل على الإدراك الباطن أن يعرف في أحد الطرفين بديل الآخر. ومن الواجب أن يشعر الطبيب بحقه في إتباع طريق الاستدلال من الأثر الواعي إلى العملية النفسية اللاواعية، وإنه ليعلم عندئذ أن الأثر الواعي ليس إلا نتيجة نفسية بعيدة للعملية اللاواعية، وأن هذه العملية الأخيرة لم تصر واعية كما هي، وأنها ـ فوق ذلك ـ كانت حاضرة وكانت تعمل عملها وإن لم تنم عن وجودها للوعي بأي وجه من الوجوه.

من المهم أن نتخلى عن المغالاة في تقدير خاصية الوعي قبل أن يكون في مستطاعنا أن نكون أي رأي صحيح في منشأ ما هو نفسي. ومن الواجب أن نفترض أن اللاوعي هو الأساس العام للحياة النفسية. فاللاوعي هو المنطقة الأوسع التي تضم بين جوانبها منطقة الوعي الأضيق نطاقا. فكل ما هو شعوري له مرحلة تمهيدية لاواعية، بينما قد يظل اللاشعوري في هذه المرحلة ولا يفقد مع ذلك حقه في أن نسلم له بكل قيمة العملية النفسية. فاللاوعي هو الواقع النفسي الحقيقي وهو في طبيعته الباطنية مجهول من طرفنا، نهله قدر جهلنا بحقيقة العالم الخارجي، كما أنه لا يَمْثُل لنا عبر معطيات الشعور إلا مثولا ناقصا على نحو ما يمثل العالم الخارجي عبر معطيات أعضائنا الحسية.

سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى صفوان، بتصرف، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص : 593 ـ 595.

III .3. اللاّوعي بين التحليل النفسي والفلاَسفة

سيجموند فرويد

إن ما أسميه باللاوعي يختلف عن لاوعي الفلاسفة. فهؤلاء إنما يستخدمون هذا الاسم للدلالة به على محض الاختلاف عن الوعي، فالرأي الذي يثير عندهم كل هذا الجدل المحتدم ويدافعون عنه بكل هذه الحمية هو القول بوجود عمليات نفسية لاواعية بالإضافة إلى الوعي. وأما نحن فلم نستعن بظواهر الحلم وتكوين الأعراض الهستيرية لنقيم هذا الرأي، فقد كانت الحياة المستيقظة السوية كافية لإثباته إثباتا لا يرقى إليه ظل من الشك. إن كشفنا الجديد الذي تعلمناه من تحليل الأبنية المرضية وتحليل أولها الذي هو الحلم يقوم على أننا عَرَفنا أن اللاوعي النفسي وظيفة خاصة بنظامين مستقلين وأن الأمر كذلك في الحياة السوية والمرضية على السواء (...)

وقد لاقى أولائك الفلاسفة الذين فطنوا إلى أن الأبنية الفكرية المعقولة البالغة التعقيد ممكنة دون أي مشاركة من جانب الوعي صعوبة كبرى في تحديد وظيفة ما لهذا الأخير، فبدا لهم أنه لا يمكن أن يزيد على كونه صورة لا طائل منها تعكس العملية النفسية.

سيجموند فرويد، تفسير **الأحلام**، ترجمة مصطفى صفوان، بتصرف، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص : 596 ـ 598.

III .4. بناءُ مفهوم اللاّوعي

سيجموند فرويد

إن تقسيم الحياة النفسية إلى وعي ولاوعي هو الفرض الأساسي الذي يقوم عليه التحليل النفسي. وهذا التقسيم وحده هو الذي يجعل من الممكن للتحليل النفسي أن يفهم العمليات المرضية في الحياة العقلية وأن يجد لها مكانا في إطار العلم. وبعبارة أخرى، إن التحليل النفسي لا يمكنه أن يقبل

الرأي الذي يذهب إلى أن الوعي هو أساس الحياة النفسية، وقد توجد هذه الخاصية مع الخصائص الأخرى للحياة النفسية أو قد لا توجد (...) ويرى معظم الناس الذين تعلموا شيئا من الفلسفة أن فكرة وجود أي شيء نفسي دون أن يكون واعيا أيضا إنما هي فكرة لا يمكن تصورها على الإطلاق، بل إنها تبدو لهم أمرا محالا وغير مقبول أصلا من الناحية المنطقية. وإني أعتقد أن ذلك يرجع فقط إلى أنهم لا يدرسوا مطلقا الظواهر المناسبة الخاصة بالتنويم المغناطيسي والأحلام، وهي ظواهر تستوجب هذه النتيجة، بصرف النظر عن دلالتها المرضية. وهكذا نرى أن علم النفس الذي يقتصر على دراسة الوعي لا يستطيع حل مشكلتي الأحلام والتنويم المغناطيسي.

إن لفظ «واعي» هو لفظ وصفي بحت يعتمد على إدراك حسي ذي طابع مباشر ويقيني جدا. وتبين الخبرة أن العنصر النفسي لا يكون واعيا دائما. بل تمتاز حالة الوعي، على العكس، بأنها تستمر لفترة قصيرة جدا. فالفكرة التي تكون واعية الآن لا تظل واعية في اللحظة التالية، مع أنها تستطيع أن تصبح واعية مرة ثانية تحت شروط معينة من السهل توفرها. أما عن حالة الفكرة في الفترة الواقعة بين هاتين الحالتين فلسنا نعرف شيئا. ونستطيع أن نقول إن الفكرة كانت «كامنة»، ونعني بذلك أنها ت«ستطيع أن تصبح شعورية» في أي وقت. وإذا قلنا إنها كانت «لاواعية» فإن وصفنا يكون أيضا صحيحا. فقولنا «لاواعي» بهذا المعنى إنما يعادل قولنا «كامن ويستطيع أن يصبح لاواعيا». إن الفلاسفة بلا شك سوف يعترضون قائلين: «لا»، إن لفظ «اللاواعي» لا ينطبق هنا. فما دامت الفكرة في حالة كمون فهي ليست عنصرا نفسيا على الإطلاق، ومناقضتنا لهم في هذه النقطة لن تفيدنا شيئا أكثر من إثارة حرب لفظية.

ولكننا توصلنا فقط إلى لفظ أو مفهوم «اللاوعي» عن طريق آخر، وذلك بتوجيه عنايتنا إلى بعض الخبرات التي يظهر فيها أثر «الدينامية»

العقلية. لقد اضطررنا لان نفترض وجود عمليات عقلية أو أفكار قوية جدا تستطيع أن تحدث في العقل جميع الآثار التي تحدثها الأفكار العادية بالرغم من أنها لا تصبح هي نفسها واعية (...)

هناك حقيقة تجعل هذه النظرية غير قابلة للرفض وهي أننا وجدنا في التحليل النفسي وسيلة يمكن أن نزيل بواسطتها القوة المقاومة وجعل الأفكار المقاومة واعية. ونحن نسمي الحالة التي تكون فيها الأفكار قبل أن تصبح واعية «بالكبت»، ونذهب إلى أن القوة التي سببت الكبت وعملت على استمراره إنما تظهر لنا أثناء التحليل في صورة «مقاومة».

إننا نستمد إذن مفهومنا عن اللاوعي من نظرية الكبت. ونعتبر المكبوت كنموذج للاوعي. ونحن نرى مع ذلك أنه يوجد نوعان من اللاوعي : اللاوعي الذي يكون كامنا ولكنه يستطيع أن يصبح واعيا، واللاوعي المكبوت الذي لا يستطيع بذاته وبدون كثير من العناء أن يصبح واعيا. وهذا القدر من الاستبصار في الديناميات النفسية لا بد أن يترك أثرا في مصطلحاتنا وفي وصفنا. فما هو كامن ولاواعي فقط بالمعنى الوصفي وليس بالمعنى الدينامي فإننا نسميه «ما قبل الوعي»، أما لفظ اللاوعي فإنا نبقيه للمكبوت اللاواعي بالمعنى الدينامي. فعندنا الآن إذن ثلاث ألفاظ : الوعي، وما قبل الوعي، واللاوعي.

سيجموند فرويد، **الأنا والهو**، ترجمة محمد عثمان نجاتي، بتصرف، دار الشروق، الطبعة الرابعة، 1982، ص : 25 ـ 28.

III .5. المكَوّنات اللاواعِية للهُو والأنا الأعلَى والأنَا

سيجموند فرويد

لقد حددنا وظيفة خاصة في ثنايا الأنا تمثل التقييد والنبذ، وهي الأنا الأعلى. لذلك بوسعنا أن نقول إن الكبت من فعل الأنا الأعلى. وهو إما أن يقوم به بذاته، أو يمليه على الأنا إملاء. فإذا نظرنا الآن في حالة المريض الذي يشعر بالمقاومة أثناء التحليل، ألفينا أنفسنا بصدد احتمالين : أحدهما أن الأنا الأعلى والأنا يستطيعان أن يعملا بشكل لاواعي في بعض الظروف الخطيرة، والآخر هو أن جوانب من الأنا ومن الأنا الأعلى نفسيها تبقى لاواعية. وفي كلتا الحالتين يتعين علينا أن نأخذ برأي لا نبتهج به، وهو أن الأنا (ويشمل الأنا الأعلى) لا ينطبق انطباقا تاما على الوعي، وأن المكبوت لا يستغرق كل اللاوعي (...)

ولدينا من الأسباب الوجيهة ما يحملنا على تأييد الاحتمال الأول. فمن المؤكد أن جوانب كبيرة من الأنا والأنا الأعلى يمكن أن تبقى لاواعية، بل إنها في الواقع لاواعية عادة. وهذا يعني أن الفرد لا يعرف شيئا عن محتوياتها، ولا بد من جهد وعناء حتى يفطن إليها ويعيها . فحق لنا إذن أن نقول إن الأنا والوعي غير متساويين في المجال. والأمر بالمثل بين المكبوت واللاوعي. وهكذا نجد أنفسنا مضطرين إلى إعادة النظر في تصورنا مسألة الوعي واللاوعي برمتها. وربما نميل في بادئ الأمر إلى أن نغض من شأن الوعي فلا نتخذه معيارا، فقد ثبت أنه لا يمكن الاعتماد عليه والركون إليه. غير أننا إن فعلنا هذا كنا خاطئين. مثل ذلك كمثل الحياة : إذ ليست لها قيمة كبيرة لكنها كل ما نملك. فلو لم نستأنس بالضوء الذي تلقيه الأحوال الواعية لظللنا في ظلمات سيكولوجيا الأعماق.

نَصف العملية النفسية باللاواعية حين لا نفطن إليها مباشرة بل نضطر إلى افتراض وجودها استنتاجا من آثارها ونتائجها على نحو ما. فموقفنا

من هذه العملية كموقفنا من عملية نفسية تحدث لشخص آخر، إلا أنها تنتمي إلينا نحن. وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة في التعبير سنقول إننا نصف العملية النفسية بأنها لاواعية حين يتعين علينا أن نفترض أنها كانت نشطة فعالة في لحظة مَّا ولو أننا لم نكن نعرف عنها شيئا في تلك اللحظة. ويذكرنا هذا التحديد بأن أغلب العمليات الواعية لا تكون واعية بالفعل إلا لبرهة قصيرة، وأنها لا تلبث أن تصير كامنة ولو أنها تستطيع في سهولة أن تصبح واعية مرة أخرى. ونستطيع أن نقول أيضا إنها أمست لاواعية إن كنا على يقين أنها لا تزال شيئا نفسيا حين تكون في حالة الكمون.

لكننا نملك حقيقة جديدة نستطيع أن نلحظها في حالة الهفوات. فلكي نفسر فلتة لسان مثلا، نرى أنفسنا مضطرين إلى أن نفترض أن المتكلم كان يقصد قول شيء معين، ونستطيع أن نستنتج وجود ذلك القصد بشكل يقيني من حدوث الفلتة، لكنه كان عاجزا عن الإعراب عن قصده ذاك، أي أنه كان لاواعيا. فإذا لفتنا نظر المتكلم إلى هذا القصد، فقد يتعرف عليه ولا ينكره. وفي هذه الحالة نقول إنه كان لاواعيا بصورة وقتية. وقد يرفضه وينكره على أنه شيء غريب عنه. وفي هذه الحالة نقول إنه كان لاواعيا بصورة دائمة، وإن أمثال هذه الملاحظات تسمح لنا أن نصف الشيء الذي كنا نسميه «بالكامن» بأنه شيء «لاواعي». على أن النظر في هذه العلاقات الديناميكية يحملنا على أن نميز بين نوعين من اللاوعي : نوع يصبح واعيا في سهولة ويسر وفي ظروف كثيرة، ونوع لا يتسنى له أن يصبح شعوريا إلا بعد جهد وعناء كبيرين، وقد لا يصبح واعيا البتة. ولكي نتحاشى اللبس والخلط بين هذين النوعين من اللاوعي سنسمي اللاواعي الذي يكون في حالة كمون بما قبل الوعي، ونحتفظ بكلمة اللاوعي للنوع الآخر (...)

ولقد اضطر التحليل النفسي إلى استعمال كلمة «اللاوعي» بمعنى ثالث مما أدى على شيء من اللبس والإبهام. لما اكتشفنا أن النفس تنطوي على مناطق كبيرة وهامة لا يفطن الأنا إلى ما يجري فيها عادة، بحيث يتعين اعتبار

العمليات التي تحدث فيها لاواعية بالمعنى الديناميكي الحقيقي لهذه الكلمة، كان من الضروري أن ننسب إلى مصطلح اللاوعي معنى طوبوغرافيا، فتكلمنا عن نظام ما قبل الوعي، ونظام اللاوعي، وعن صراع بين الأنا ونظام اللاوعي، بحيث أخذت كلمة اللاوعي تقترب تدريجيا لتدل على معنى المنطقة النفسية أكثر مما تعني صفة للعمليات النفسية. ولما اكتشفنا أن جوانب من الأنا والأنا الأعلى هي جوانب لاواعية بالمعنى الديناميكي، كان هذا الكشف مبعث ارتباك لنا في أول الأمر، لكنا عرفنا فيما بعد أنه كشف ييسر الأمور ويزيل ما بها من تعقيد. وغني عن البيان أنه لا يجوز لنا أن نسمي المنطقة التي ليست أنا وليست أنا أعلى بالنظام اللاواعي لأن صفة اللاوعي غير مقصورة عليها، ومن ثمة فلن نعد نستخدم كلمة اللاوعي كنظام، وسنطلق على ما درجنا على تسميته بهذا الاسم مصطلحا أفضل لا يكون مدعاة للبس وسوء الفهم وهو مصطلح «الهو»، وهو مصطلح اقترحه «غروديك» (Groddeck) مستعيرا إياه من نيتشه. والحق أن استعمال ضمير الغائب في هذا المكان يبدو مواتيا بوجه خاص للتعبير عن الصفة الجوهرية لهذه المنطقة من النفس وهي كونها غريبة عن الأنا. وهكذا يكون لدينا الأنا الأعلى والأنا والهو : ثلاث مناطق أو مجالات تكون الجهاز النفسي.

سيجموند فرويد، **محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي**، ترجمة عزت راجح، بتصرف، دار مصر للطباعة، ص : 63 ـ 66.

III .6. آثارُ اللاوَعي

سيجموند فرويد

يخبرنا التحليل النفسي أن ماهية عملية الكبت لا تقوم على حذف أو إزالة تمثل يمثلُ الدافع الغريزي، ولكنها تقوم على منعه من أن يصبح واعيا. لذلك نقول إنه يوجد في حالة «لا واعية»، ويمكننا تقديم أدلة دامغة على أنه قادر ـ حتى في الحالة اللاواعية ـ على إحداث تأثيرات يتمكن بعضها

من بلوغ مستوى اللاوعي. كل مكبوت يظل بالضرورة لا واعيا، ولكننا نفترض أن المكبوت لا يشمل كل اللاوعي. فاللاوعي له امتداد أوسع، والمكبوت هو جزء من اللاوعي.

كيف نتمكن من معرفة اللاوعي ؟ بالطبع، إننا لا نعرفه إلا كوعي، أي عندما يطرأ عليه تغيير أو نقل إلى الوعي. لقد مكننا العمل التحليلي النفسي من القيام باختبار إمكانية النقل كل مرة. وهذا يتطلب أن يتمكن التحليل من رفع بعض أشكال المقاومة، هذه الأشكال نفسها التي جعلت، في وقت مضى، من تمثل ما مكبوتا بإبعاده عن الوعي.

ويمكننا أن نذهب أبعد من ذلك ونتقدم، لندعم فرضية الحالة النفسية اللاواعية، التي لا يتوفر فيها الوعي إلا على محتوى ضئيل، وعندما نبعد هذا المحتوى، يكون الجزء الأكبر مما نسميه معرفة واعية موجودا بالضرورة، وإبان المراحل الأطول، في حالة كمون، أي في حالة لاوعي نفسي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار جميع ذكرياتنا الكامنة، فسيكون من باب اللامعقول رفض وجود اللاوعي. وفي هذه الحالة سيواجهنا الاعتراض القائل بأن هذه الذكريات الكامنة لا يمكن أن تنعت بالنفسية، ولكنها ستتطابق مع بقايا سيرورات جسدية، حيث يمكن للنفسي أن ينبثق ثانية.

يُفسَر الرفض العنيد الذي يَحول دون منح خاصية نفسية للأفعال النفسية الكامنة بكون أغلبية الظواهر المتناولة لم تكن موضوعا للدراسة خارج التحليل النفسي. فالذي لا يعرف الظواهر المرضية، ويقتصر على اعتبار هفوات الإنسان السوي محض صدفة ويكتفي بالحكمة القديمة القائلة إن كل حلم هو أكذوبة، هذا الشخص لا يحتاج سوى إلى التغاضي مرة أخرى عن بعض ألغاز سيكولوجيا الوعي حتى يراعي فرضية وجود نشاط نفسي لاواعي. وفضلا عن ذلك، فقد كشفت التجارب ذات العلاقة بالتنويم المغناطيسي، بشكل ملموس، وحتى قبل التحليل النفسي، عن وجود اللاوعي النفسي وفعاليته.

Sigmund Freud : *Métapsychologie*, Traduit de l'allemand par Jean Laplanche et J.B Pontalis, Edit. Gallimard 1968. pp. 65 - 70.

III.7. ضرورةُ اللاَّوعي

سيجموند فرويد

كيف لا يمكننا التعرف على مؤشر لمنطقة نفسية خاصة، معزولة عن بقية المناطق، وعن كل أنشطة وتجليات الحياة الداخلية ؟ تقودنا هذه الأعراض، هذه التمثلات والدوافع الغريزية بلا شك إلى الاقتناع بوجود اللاوعي النفسي، ولهذا السبب فإن الطب العقلي العيادي، الذي لا يعرف سوى سيكولوجيا الوعي، لا يمكنه أن يتخلص من الأمر إلا بإعلانه أن كل تلك التمثلات هي نتاج انحلال خلوي. ومن البديهي أن التمثلات والدوافع الغريزية الوسواسية ليست لا واعية في ذاتها، كما أن تنفيذ أفعال وسواسية لا ينفلت من الإدراك الواعي. لم يكن بالإمكان أن تتحول تلك التمثلات والدوافع إلى أعراض لو أنها لم تخترق الوعي. غير أن الشروط النفسية التي تخضع لها، حسب تحليلنا لها، بالإضافة إلى المجموعات التي يتمكن تأويلنا من ترتيبها داخلها، هي لا واعية، على الأقل حتى اللحظة التي نتمكن فيها من جعلها واعية لدى المريض عن طريق التحليل النفسي.

إذا أضفنا إلى ذلك أن تلك الحالة التي لاحظناها عند المريضتين موجودة في كل أعراض الانفعالات العصابية، وأن معنى الأعراض يكون دائما وفي كل مكان مجهولا من طرف المريض، وأن التحليل يكشف دائما عن أن هذه الأعراض هي نتاج سيرورات لا واعية، تستطيع مع ذلك في بعض الظروف المتنوعة والملائمة، أن تصبح واعية، ستعلمون بدون عناء أن التحليل النفسي لا يمكنه أن يتخلى عن فرضية اللاوعي، وأننا اعتدنا التعامل مع اللاوعي كشيء واضح. وستفهمون أيضا بلا شك أن الأقل كفاءة في هذا الموضوع هم أولائك الذين لا يعرفون من اللاوعي إلا الاسم، وأنهم لم يمارسوا التحليل أبدا، لم يؤولوا حلما، لم يبحثوا عن معنى وقصدية الأعراض العصابية. لنكرر الأمر مرة أخرى : إن كون التأويل التحليلي يمكننا من إعطاء معنى للأعراض

العصابية يشكل حجة لا تُفند عن وجود السيرورات النفسية اللاواعية، أو بتعبير آخر قد يروقكم أكثر، يكشف عن ضرورة تقبل وجود هذه السيرورات.

ولكن لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، هناك اكتشاف آخر لبروير (Breuer) أراه أكثر أهمية من الأول ، والذي توصل إليه بمفرده، يبين لنا، يمدنا بمعطيات جديدة عن العلاقات الموجودة بين اللاوعي والأعراض العصابية. فليس معنى الأعراض هو الذي يكون لاواعيا بصفة عامة فقط، ولكن هناك علاقة إحلال متبادل بين هذا اللاوعي وإمكانية وجود الأعراض (...) إني أؤكد مع بريير الأمر التالي : في كل مرة نواجه فيه عرَضا، علينا أن نخلص إلى وجود سيرورات لا واعية عند المريض هي التي تشكل بالتحديد معنى هذا العرض، ولكن ينبغي أن يكون هذا المعنى لا واعيا حتى يتكون العرَض. فالسيرورات اللاواعية لا تسبب الأعراض العصابية، ومن جهة أخرى، فبمجرد ما أن تصبح السيرورات اللاواعية واعية، فإن الأعراض تختفي. ولديكم هنا منفذ للعلاج، وهو وسيلة لإخفاء الأعراض. وبهذه الوسيلة تمكن بريير من علاج مريضته الهستيرية، وبعبارة أخرى، إخفاء أعراضها، فقد وجد تقنية مكنته من نقل سيرورات لاواعية إلى مستوى الوعي، تلك السيرورات التي كانت تخفي معنى الأعراض، والحصول، بعد القيام بعملية النقل تلك، على اختفاء الأعراض.

Freud Sigmund, *Introduction à la psychanalyse*, Payot 1978, p. 260 - 261.

III .8. وعيُ اللاوعي

فاليري لبين

يُخضع فرويد اللاوعي للتجزيء التحليلي محاولا الكشف عن آليات فعل العمليات اللاواعية، وتبيان مضامينها والأشكال الملموسة لمظهر اللاوعي النفسي في حياة الإنسان. فهو لا يهتم بمجرد وصف اللاوعي كشيء سلبي يوجد خارج الوعي، بل يعالج المكونات الإيجابية لحالة اللاوعي وخصائصه (...)

يتسمُ اللاوعي عند فرويد بشيء من الازدواجية التي لا تبرز في أثناء الوصف الفينومينولوجي للعمليات اللاواعية كما هي، بقدر ما تبرز عند الكشف عن ديناميكية فعلها في النفسية البشرية. فمن جهة، في أثناء وصف العمليات النفسية التي لا تعتبر واعية، يتكشف ما يسمى اللاوعي، ومن علاماته المميزة هو أن التصور الذي كان واعيا في فترة ما، يتوقف عن أن يكون كذلك، في لحظة أخرى، إلا أنه يمكن أن يصبح، ثانية، واعيا عند وجود ظروف معينة تساعد على انتقال اللاوعي إلى الوعي.

ومن جهة أخرى، إن ديناميكية توسيع العمليات النفسية، إنما تدل على وجود قوة مجابهة، في النفسية البشرية، تعيق نفاذ التصورات اللاواعية إلى الوعي. إن الوضعية التي تقع فيها هذه التصورات، قبل وصولها إلى الحالة المدركة يسميها فرويد «إزاحة»، وأما القوة التي تساعد على إزاحة هذه التصورات فيسميها «مقاومة». ولا يمكن التخلص من المقاومة إلا على أسس إجراءات خاصة تقوم على التحليل النفسي والتي تتمكن التصورات اللاواعية أن تصل بواسطتها إلى الوعي.

وبالتالي، فاللاوعي يبرز كعملتين نفسيتين مستقلتين، ولا تنحصر إحداهما في الأخرى، نظرا لوجود «لاوعي مزدوج، حسب فرويد، هو لاوعي خفي لكنه قادر على أن يصير واعيا ومنزاحا، لا يمكنه في حد ذاته أن يصير واعيا»، يسمي فرويد الهيئة الأولى من حالة اللاوعي بـ«ما قبل الوعي»، والثانية بـ«اللاوعي المنزاح»، وبناء على ذلك فالنفسية البشرية تتكون من اللاوعي، وما قبل الوعي والوعي.

تخلق ازدواجية اللاوعي التباسا في فهم طبيعة العمليات اللاواعية، ومرد ذلك بالأساس لـ«اللاوعي المنزاح»، علما أن الانزياح، في التحليل النفسي ليس جزءا من اللاوعي النفسي، لذلك يقول فرويد «إن كل ما تم انزياحه يصبح واعيا، ولكن لا يمكن القول إن كل ما هو غير واع هو منزاح» (...)

لا يكتفي فرويد بوصف العمليات اللاواعية كما هي، بل يسعى إلى الإشارة إلى الفعل النفسي ومساره. لذلك يتم الدفاع عن التصورات المنتظمة حول النفسية البشرية التي تتكون من ثلاث منظومات تعمل بصورة مستقلة فيما بينها، ويشكل إبراز الصلات المتبادلة فيما بينها مهمة هامة من مهام التحليل النفسي. وأضاف فرويد في وقت لاحق فهما تركيبيا للنفسية البشرية من خلال تحديده للهو والأنا والأنا الأعلى، وهو الأمر الذي أسهم في فهم عميق للعلاقة المتبادلة ما بين الوعي واللاوعي (...)

يعترف فرويد بوجود شيء من اللاوعي في الأنا نفسها، إلى جانب أنواع أخرى من العمليات اللاواعية (...) وبالرغم من كل ما قاله فرويد عن التناقضات الموجودة ما بين الوعي واللاوعي، فإنه يُذكِر في نفس الوقت بعدم وجود حدود بين الهو والأنا وأن القوى العاملة في هاتين المنظومتين تمتزجان فيما بينهما (...)

إن اعتراف فرويد بتعدد معاني مفهوم اللاوعي لا يعني أنه مستعد للتخلي عن استخدامه، بل يحذر على العكس من ذلك من المواقف الاستهتارية التي يمكن أن تُتخذ تجاه هذا المفهوم لأن خاصية اللاوعي هي الشمعة المضيئة الوحيدة في حلكة سيكولوجية الأعماق. ولمعالجة تعدد معاني اللاوعي تلك، يركز فرويد جهوده لإبراز الصفات الجامعة للعمليات اللاواعية الجارية في أعماق النفس البشرية (...)

تبدأ معرفة اللاوعي عند فرويد من مُساءَلة المعرفة. فالمعرفة تبدأ بشكل أو بآخر بالوعي. لذلك لا يمكن أن نعرف اللاوعي إلا بتحويله إلى الوعي. لكن السؤال الذي يواجه فرويد في هذه الحالة هو : كيف يمكن تحويل اللاوعي إلى الوعي إذا كنا لا نعيه ؟ هل تصل العمليات اللاواعية إلى سطح الوعي، هل يخترق الوعي العمليات اللاواعية ؟ (...)

لا تعتبر التصورات الواعية واللاواعية وما قبل الواعية، عند فرويد، تسجيلات لمحتوى واحد في المنظومات النفسية المتباينة، إذ أن الأولى تتضمن

تصورات مادية مصاغة بصور لفظية، والثانية هي المادة التي تظل مجهولة، أي غير مدركة، ومكونة من تصورات مادية بحتة، والثالثة هي إمكانية ربط التصورات المادية باللفظية، وبناء على هذا التمييز يمكن القول إن معرفة اللاوعي تتم انطلاقا من الانتقال من مجال الوعي إلى مجال ما قبل الوعي (...) تقترن عملية معرفة اللاوعي بإمكانية التقاء التصورات المادية بالتراكيب اللغوية المعبر عنها في صيغة لفظية كلامية إضافة إلى تفسير التصورات الكلامية المنطقية لإدراك اللاوعي من خلال الحلقات الوسيطة لما قبل الوعي. والتصورات الكلامية هي حسب فرويد أثار لذكريات، لأن كل كلمة ليست سوى «بقايا ذكريات الكلمة المسموعة». إن ما يمكن أن يصير واعيا هو ما كان في وقت مضى إدراكا واعيا، لذلك تصبح معرفة اللاوعي استذكارا واستعادة لمعرفة سابقة توجد في ذاكرة الإنسان (...)

يمكن أن نعرف اللاوعي حسب فرويد انطلاقا من حياة الفرد اليومية. فالتحليل النفسي يدرس المظاهر الأكثر ضآلة في الحياة اليومية والمتمثلة في الأحلام والأفعال الخاطئة أو الهفوات، من زلات قلم ولسان، ونسيان الأسماء، ومختلف أنواع الاحتفالات والمراسم الجارية يوميا (...) فالتحليل النفسي لا يفسر أي شيء انطلاقا من الحاضر. فالماضي عند فرويد ما هو إلا تلك الطفولة المبكرة لإنسان ما وحده، ولحالة بدائية الجنس البشري في آن معا. كما أنه اعتبر دراسة الأحلام وتفسيرها وسيلة هامة لدراسة اللاوعي، لأنها تبين بجلاء منابع رغبات الإنسان اللاواعية والتي تعود في جذورها إلى الماضي. فعمل الأحلام يعود بنا إلى أزمنة ما قبل التاريخ، إلى الفترة الفردية ما قبل التاريخ، إلى الطفولة. وبما أن كل فرد يكرر باقتضاب تطور الجنس البشري، فإنه يمثل العصر البشري الذي وجد في مرحلة ما قبل التاريخ.

يعتبر فرويد أن مصدر اللاوعي أساسه الطفولة. لذلك تتم دراسة رغبات الإنسان وميوله التي لازالت موجودة في الطفولة. فهي رغبات ناشطة طيلة حياة الفرد تذكرنا بالعمالقة الأسطوريين الذين تجثم على كاهلهم

من قديم الأزل كتل جبلية ثقيلة كانت الآلهة قد وضعتها عليهم، في وقت من الأوقات، والذين يثيرون الدهشة إلى يومنا هذا، بحركات عضلاتهم، وتتسلل هذه الرغبات من ذاتها ومن الطفولة.

يقرن فرويد ميول الكائن البشري اللاواعية الأولى، مع الجوانب الجنسية في الأسرة وفي الجماعة البدائية. وكل شيء ينحصر في «عقدة أوديب»، التي تخبرنا عن طبيعتها، بعد ظهورها في درجات متباينة من تطور الحضارة البشرية، وفي حياة المعاصرين أيضا بسبب وجود «الهو» اللاواعي في تركيب الفرد وفي النفسية البشرية، وعلى أساس هذا «الهو» يحدث الترتيب الثلاثي للعلاقة الأوديبية : (الأب « الأم » الطفل بوضعه المزدوج في علاقته بوالديه) والأنا الأعلى بصفته «وريث عقدة أوديب».

تكتمل معرفة اللاوعي بالكشف فيه عن «عقدة أوديب»، عن تلك الميول الجنسية الأولى التي تكون تحت تأثيرها، كما لو كان يجري تصميم النشاط البشري بمجموعه، أي باختصار الحاضر في الماضي، وبحصر كل مظاهر نشاط الإنسان في ميوله الجنسية.

فاليري ليبين (Valery Moiseevich Leibin)، فرويد : **التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة**، ترجمة، زياد الملا، بتصرف، الطليعة الجديدة، دمشق ـ الطبعة الأولى، 1997، ص. 81ـ90.

III. 9. مشروعية اللاوعي

إدغار بيش

كان فرويد يخشى كثيرا من الدوغمائية ومن الضحالة الفكرية التي تولدها، كان يكتفي بطرح فرضيات وإخضاعها دوما إلى التحقيق التجريبي. إن الملاحظة العلمية هي التي مكنته من القول بأنه ليست كل ظاهرة نفسية واعية بالضرورة، كما أن فرويد هو الذي وصف الإدعاء باعتقاد أن كل ما يدور في الحياة النفسية يجب أن يصل إلى الوعي، بأنه غوغاء غير قابل للإثبات.

يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك، ومن أجل تأكيد وجود حالة نفسية لا واعية نقول إن الوعي لا يتضمن، في كل لحظة، إلا مضمونا ضعيفا بحيث إن معظم ما نسميه معرفة واعية يجب أن يوجد، في غالب الأحيان، في حالة الكمون وبالتالي في حالة لا وعي نفسي. هكذا وضع فرويد المسألة على قواعدها الفعلية التي أدت إلى اعتراف علم النفس بمفهوم اللاوعي، يقول بهذا الصدد : «لم يبق علينا في ميدان التحليل النفسي إلا إعلان أن العمليات النفسية هي بحد ذاتها لا واعية، وأن إدراكها بالوعي مشابه لإدراك العالم الخارجي بواسطة أعضاء الحس. لقد جاءت تأكيداته ذات المنطق الثوري لتصطدم بالأوساط الفلسفية (...) ورد فرويد على كل من شنّ عليه هجوما لفظيا بقوله : «إن فرضية اللاوعي ضرورية وشرعية، كما أن وجوده ثبُتَ بعدة طرق. إنها ضرورية لأن المعلومات التي يقدمها الوعي مليئة بالثغرات، وغالبا ما نلاحظ، عند الإنسان، المريض والسوي معا، أفعالا نفسية تفترض حتى نتمكن من فهمها أفعالا أخرى لا يعرف الوعي شيئا عنها. ولا يتعلق الأمر هنا فقط، بأفعال منسية، بأحلام يحلمها العاديون، بكل ما يسمى عوارض نفسية وظواهر استحواذية عند المرضى، بل إن تجربتنا اليومية والشخصية تسمح لنا بملاحظة أفكار ما نزال نجهل مصدرها ونتائج فكر يخفى علينا سر تكونه. وقبل أن يستخلص فرويد وجود اللاوعي انطلاقا من ملاحظاته الخاصة، كان قد تصور فكرته انطلاقا من الإيحاءات التي حققها المنومون المغناطيسيون الممارسون مثل «ليبلوت» (Ambroise ـ Auguste Liébeault) و«برنهايم» (Hippolyte Bernheim).

أما بالنسبة لمن تصدمهم مفارقة الحياة النفسية اللاواعية، والذين ليسوا أطباء باحثين، فإن فرويد يرد عليهم بالقول إنه «إذا كان بعض الفلاسفة يجد صعوبة في قبول وجود فكرة لا واعية، فإنه من الأصعب الاعتقاد بوجود شعور لا واعي». كان مفهوم اللاوعي قد تكون سابقا، ولم يخترعه فرويد بل أعطاه مضمونا مختلفا تماما، وإليه يرجع الفضل الأكيد، على الأقل، في تسريع الاعتراف بهذا المفهوم. عرف فرويد كيف يتخلص من المفاهيم المزدوجة،

أي من تعددية حالات الوعي، وذلك من أجل تأكيد وجود جهاز نفسي لا واع يمكن وصفه باستعمال نفس التعابير التي يستعملها الوعي، مثل الميول، التصورات، الرغبات، الأحاسيس، وغيرها.

وعلاوة على ذلك، كان كثير من المفكرين يلقون على اللاوعي ما قبل الفرويدي حجابا من الأساطير كما لو أن الأمر يتعلق بمنطقة هي، في نفس الوقت، غير حقيقية تماما وخطرة بحيث يكون من الأفضل عدم تناولها بمزيد من العمق (...) لم يكتفِ فرويد، في الحقيقة، بمفهوم اللاوعي، ولم يؤكد ويحدد ويوضح وجود اللاوعي فحسب، بل إنه قرر اكتشافه بمنهج التحليل النفسي من أجل معرفة أولياته ومصادره (...) لقد استعمل فرويد في هذا الاكتشاف أكثر المناهج علمية، واستعمل منهجا ظلّ أداة عمل ولم يتحول إلى طريقة في التفكير.

إدغار بيش (Edgar Pesch)، **فكر فرويد**، ترجمة جوزيف عبد الله، بتصرف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، 1993، ص : 43-47.

III. 10. علاقة اللاوعي بالصحة والمرض حسب فرويد

وليم ماتيو أونيل

قام فرويد بتأسيس وتطوير التحليل النفسي كأسلوب للملاحظة وكعلاج ونظرية، والمبدأ الأساسي للنظرية يؤكد دور اللاوعي، أي النشاط العقلي المجهول أو غير المعروف، وأكد فرويد في وقت مبكر أن الأعراض الهستيرية تعبير عن الذكريات التي ليست في متناول الشخص أو الذات، وتتعلق هذه الأعراض بخبرات صادمة مبكرة، هذه الذكريات المحملة انفعاليا تتصف بأنها لاواعية، ليس من خلال مجرد الإهمال، وليس من خلال نقص الطاقة الكافية للتكامل، ولكن من خلال عملية إيجابية تقوم بإبعاد هذه الخبرات عن مجال الوعي، وهذا الكبت هو نتيجة قوى متعارضة، وفيما بعد أشار فرويد إلى أن الخبرة الصادمة ليست شرطا ضروريا لإحداث

صراع بهذه الشدة وإنه يمكن حل هذا الصراع من خلال كبت إحدى القوى المتحاربة، وقد حاول فرويد فعلا أن يثبت أن الصراع حالة ملازمة للحياة العقلية وأن الكبت هو جزء من العملية الكلية للارتقاء العقلي، وأكد فرويد أيضا أن كلا من الصحة العقلية والمرض العقلي مشروطان بالكبت، فالصحة العقلية معناها كبت ناجح والمرض العقلي معناه كبت فاشل.

وليم ماتيو أونيل (William Matthew O'Neil)، **بدايات علم النفس الحديث**، ترجمة د. شاكر عبد الحميد، بتصرف، دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى 1987، ص160 ـ161.

III .11. علاقة اللاوعي بالأنا حسب فرويد

روبير سيسْيون وُودْوُورت

اضطر فرويد إلى مراجعة قطبية الوعي واللاوعي. وقد بدا بوضوح أول الأمر أن الأنا هو الوعي، وان الجانب الواعي من الحياة هو الذي يكبت الرغبات التي لا يقبلها الأنا ويجعلها لاوعيا بالمقاومة. إلا أنه وجد أن المرضى الذين يخضعون للتحليل غير واعين بمقاوماتهم. فمن الناحية الواعية، لم يكونوا يقاومون التذكر الحر لخبراتهم الماضية، فكانت المقاومة إذن لاواعية، وكان الكبت الأصلي من غير شك كذلك. وعلى هذا فإن الأنا «في قيامه بالكبت والمقاومة» كان يعمل بطريقة لا واعية. والأنا هو في جزء منه وعي، وفي جزء منه لاوعي. ففي الجانب الواعي، هو صلة بالبيئة التي يدركها بالحواس، ويتناولها باستخدام العضلات. فألم الوعي ولذته تبينان أنه هو أيضا على صلة بداخل الكائن العضوي والنفس، مع أن هذا الداخل هو لاواعي إلى حد كبير. والداخل اللاواعي للنفس يتكون ديناميكيا من الغرائز ومن رغبات وخبرات مضطربة قد كبتناها. والتعارض هنا هو بين ما يمكن أن نسميه ظاهر النفس في صلته بالبيئة، وبين الداخل الذي لا صلة له مباشرة بالبيئة.

روبير سيسْيون وُودْوُورت، (Robert Sessions Woodwort)، **مدارس علم النفس المعاصرة**، ترجمة كمال دسوقي، بتصرف، دار النهضة العربية، 1971، بيروت 1981، ص 238.

III .12. اللاوعي والكبت

بيير داكو

الكبت هو آلية من آليات اللاوعي تحول دون أن يصل الدافع الغريزي إلى ساحة الوعي. إن فرويد يعقد الموازنة التالية على وجه التقريب : يبدو الأمر كما لو أن شخصيات ذات شعر أشعث، قذرة، عارية كل العري «غير معترف بها» (الغرائز)، كانت ترغب في أن تخرج من كهفها المظلم (اللاوعي) لكي تجتاح قاعة حفلات (الوجدان الأخلاقي) تقام فيها سهرة في أوج نشاطها.

بين الكهوف المظلمة والقاعة المضاءة، مجموعة من رجال الشرطة : الأنا الأعلى. ويصعد الدافع الغريزي المُلتحي بعض الدرجات، فيصطدم بقوات الأنا الأعلى، وعليه أن يوضح مبرراته، فإذا كان ثمة كبت، رد ساكنَ الكهوف إلى جحره، دون أي صورة أخرى من صور الدعوى. ولكن الشخصيات المنهمكة في القاعة تجهل كل شيء مما حدث. يجهل الوعي دائما أن كبتا قد حدث. ولا يعلم المرء بوجود الكبت إلا عندما تبدو الأعراض على السطح. فالحصر، على سبيل المثال، المحسوس بصورة شعورية، يمكن أن يكون عرضا من أعراض الكبت اللاواعي.

لماذا يحدث كبت ؟ ولماذا يظل لا واعيا ؟ إن الكبت يعمل على الدوافع الغريزية الآتية من اللاوعي. وثمة كبت لأن الدافع الغريزي يهدد الشخصية بفقدان توازنها. فما التهديد ؟ وما المهدد ؟ تجهل الغرائز الأخلاق والمحرمات والممنوعات والمباح ؟ واللاوعي يولد الغرائز. فمن اليسير أن يفهم المرء أن ثمة «شيئا ما» يحدث بمجرد أن يكون أحد الدوافع اللاواعية في عدم وفاق قوي مع الأخلاق اللاواعية للأنا العليا، وهذا «الشيء الذي يحدث» هو الكبت.

ومادام الكبت يحدث انطلاقا من دافع قوي، فإنه دائما مشحون بالطاقة والانفعالات. ولكن هذه الانفعالات لا واعية كالكبت على حد سواء. ومع

ذلك ينبغي أن لا يتخيل المرء أن كبت دافع من الدوافع يتم من وقت لآخر. فهو يكبت دافعا لأنه يمثل خطرا على شخصيته. ولكي لا يبدو الخطر، ينبغي أن يظل الدافع مكبوتا، الأمر الذي يقتضي بذل جهود لا واعية مستمرة وكبيرة، مثل نهر (الدافع) يهاجم باستمرار سدا (الأنا الأعلى) يوقفه في كل محاولة من محاولاته في أن يصل إلى الوادي (الوعي). فثمة إذن هدر للطاقة دون جدوى، وإضعاف للشخصية. وينتج عن الكبت تعب واكتئاب... ويشبه ذلك مصدرا كهربائيا أعد ليغذي مصابيح قوية غير مرئية، ويغذي في نفس الوقت مصابيح الاستعمال المنزلي التي يثير مردودها الضعيف الدهشة دون اكتشاف السبب.

بيير داكو، Pierre Daco، **انتصارات التحليل النفسي**، ترجمة وجيه أسعد، بتصرف، مطبعة الرسالة، دمشق، الطبعة الثانية، 1986، ص : 399 ـ 401.

III .13. اللاوعي أو الحصان الذي يقود الفارس

باتريك دو نوتير

ليس فرويد بكل تأكيد هو الذي اخترع اللاوعي. فهذا المفهوم كان موجودا قبله في اللغة الإنجليزية (سنة 1751)، وفي اللغة الألمانية، ثم أخيرا في اللغة الفرنسية (سنة 1860). وكان معناه غامضا إلى حد ما مع ذلك. لأنه كان يدل في البداية على مجموعة صور ذهنية وأهواء تنفلت من الوعي. لكن فرويد هو الذي جعل منه أهم المفاهيم الأساسية لنظريته، وأعطاه دلالة ومحتوى خاصين. لقد جعل منه مجالا نفسيا يختلف عن الوعي وعن ما قبل الوعي، ويتميز باحتوائه على عناصر نفسية مكبوتة، وبالخصوص الأفكار. ولقد منعت بعض العناصر من ولوج الوعي، وتم طرد عناصر أخرى إلى خارج الوعي.

تميز هذا اللاوعي الفرويدي في البداية بالكبت، لكنه تميز أيضا لعودة المكبوت، ويشير فرويد بفهمه هذا للاوعي على اندفاع أفكار واستيهامات

وتمثلات أخرى للدوافع الغريزية تبحث عن تعرف الوعي عليها ومعرفته بها. وتصل إلى مبتغاها عن طريق الأعراض والأحلام والزلات والنسيان والهفوات التي تسمى «مستبعدو الوعي». للاوعي إذن تأثير على الوعي، يمثل اللاوعي الفرويدي الجزء الأكبر من حياتنا النفسية. وهذا ما توضحه استعارة الجبل الجليدي ـ التي استعملها فرويد ـ الذي لا يظهر منه إلا جزء صغير ، أما جزؤه الأكبر فله تأثيرات كبيرة تكون أحيانا كارثية بالرغم من عدم ظهوره. أما الاستعارة الأخرى التي استعملها فرويد فهي استعارة الحصان الذي يصعب على الفارس التحكم فيه. ويرمز الفارس للأنا أما الحصان فيرمز للاوعي. وسيذهب فرويد بهذه الاستعارة إلى أبعد حد حين قال إن الحصان هو الذي يقود الفارس دون علم هذا الأخير، بالإضافة إلى أن الحصان قد يلقي بالفارس أرضا. ويجب أن نضيف أن اللاوعي الفرويدي يتضمن سيرورات أولية تخضع كليا لمبدأ اللذة ولآلية التكثيف ولآلية النقل. وعوض فرويد ما بين سنة 1920 و1923 هذه النظرية الأولى (وعي ـ ما قبل الوعي ـ اللاوعي) بنظرية ثانية (الهو ـ الأنا ـ الأنا الأعلى) جعلت من اللاوعي خاصية مميزة للعناصر المتضمّنة في الهو والموجودة أيضا في الأنا والأنا الأعلى.

Patrick de Neuter, «les inconscients», revue *Cahiers de psychologie clinique*, 2007/2, p 7 - 9.

III. 14. اللاوعي بين علم النفس الفردي وعلم النفس الجمعي

سيجموند فرويد

حين ننتقل من علم النفس الفردي إلى علم النفس الجمعي، نصطدم في الحقيقة بعقبتين اثنتين، مختلفتين طبيعة ومتفاوتتين أهمية. فنحن أولا لم ندرس حتى الآن سوى حالة واحدة يتيمة من بين تلك الحالات العديدة التي تشتمل عليها فينومينولوجيا الأديان، وبناء على ذلك يستحيل علينا أن نسلط الأضواء على الحالات الأخرى، ويقر المؤلف آسفا بأنه مكره على

الاقتصار على ذلك المثال الوحيد لأن معلوماته التقنية لا تسمح له بتكملة أبحاثه (...) كما نصطدم في انتقالنا هذا إلى علم النفس الجمعي بعقبة ثانية أشق وأدهى أمرا هي مشكلة معرفة الشكل الذي يستمر من خلاله المأثور الناشط الفاعل في حياة الشعوب، وهذه مسألة غير مطروحة على الفرد لأن حلها كامن في وجود آثار ذكريات من الماضي في لاوعيه(...)

لسنا نملك بعد أن نحدد الشكل السيكولوجي الذي يستمر الماضي فيه في فترة إظلامه وهموده. وليس من اليسير أصلا أن ننقل مفاهيم علم النفس الفردي إلى علم النفس الجمعي، وأن الشك ليساورني في أن يكون هناك نفع أو جدوى من إرساء أسس مفهوم عن لاوعي «جمعي». أفليس مضمون اللاوعي، على كل حال، جمعيا ؟ أفلا يشكل خاصة عامة من خواص البشرية ؟ إذن يجدر بنا، في الوقت الحاضر، ألا نعتمد على تشابهات. فالظاهرات التي تحدث في حياة الشعوب تشبه إلى أبعد الحدود تلك التي يعرفنا بها علم النفس المرضي، ولكن من دون أن تكون متطابقة وإياها تمام التطابق. ولنخلص إلى القول بأن الرواسب النفسية من تلك الأزمنة البدائية شكلت ميراثا كان على كل جيل جديد أن يميط اللثام عنه لا أن يعاود الاستيلاء عليه. لنمعن النظر، على سبيل المثال، في رمزية اللغة التي تبدو بالتأكيد فطرية. ترجع هذه الرمزية إلى العهد الذي رأت فيه اللغة النور، وهي مألوفة من الأطفال كافة من دون أن يلقنهم أحد شيئا عنها. وهذه الرمزية واحدة لدى الشعوب قاطبة بالرغم من تنوع اللغات. وتقدم لنا مباحث التحليل النفسي المزيد من المعلومات حول عدد من النقاط التي تحوم حولها الشكوك. فنحن نلاحظ أن ردود أفعال أطفالنا في العديد من الظروف الهامة لا تأتي على النحو الذي كان يفترض أن تمليه عليهم تجربتهم الخاصة، بل تأتي على نحو غريزي، على منوال الحيوانات، وهذا ما لا تفسير له إلا بردة وراثية نسالية.

سيغموند فرويد : **موسى والتوحيد**، ترجمة جورج طرابيشي، بتصرف، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1986، ص : 128 ـ 129 ـ 182 ـ 183.

IV. اللاوعي ما بعد فرويد

IV .1. هل اللاوعي مفهوم ثوري ؟

إريك فروم

تمثلت النتيجة الأكثر خصوبة وجذرية للنظرية الفرويدية في تأسيس «علم خاص باللاعقلاني»، أي نظرية اللاوعي. وكان ذلك استمرارا، كما لاحظ ذلك فرويد نفسه، لعمل كوبرنيك وداروين، وأضيف ماركس أيضا. لقد قضى هؤلاء على أوهام الإنسان حول مكان كوكبنا في الكون، وحول مكان الإنسان في الطبيعة والمجتمع. وهاجم فرويد آخر معقل لم يطرقه أحد، وهو الوعي الإنساني كمعطى أخير للتجربة النفسية. وبرهن على أن كل ما نعيه تقريبا ليس حقيقيا، وأن كل ما هو حقيقي تقريبا لا يقع في مجال وعينا (...)

لم يبرهن فرويد فقط على وجود أنساق لاواعية عموما، فقد سبقه إلى ذلك آخرون، بل بين تجريبيا كيف تعمل هذه الأنساق اللاواعية عبر براهين ملموسة ومحسوسة : الأعراض العصابية، الأحلام والأفعال الصغيرة في الحياة اليومية.

إن نظرية اللاوعي هي إحدى الخطوات الحاسمة التي أنجزت في معرفتنا للإنسان وفي مقدرتنا على تمييز ظاهرة حقيقة السلوك الإنساني. وقد ولّدت حجما جديدا للإيمان الذي أعطى أسسا جديدة للفكر النقدي. كان يكفي قبل فرويد معرفة المقاصد الواعية لشخص ما للحكم على صراحته. بعد فرويد، بات هذا الأمر غير كاف. فخلف الوعي تحتجب الحقيقة المستترة، اللاوعي، مفتاح المقاصد. ومنذ أن نحلل الشخص، أي منذ أن نتفحص سلوكه من وجهة نظر تحليلية، فإن التصور البرجوازي للاحترام

والنفاق الذي ينتج عنها يتزعزع من أساسه. ولم يعد كافيا أن يبرر أحد أعماله بمقاصده الطيبة. فالأهداف الطيبة التي يعبر عنها الشخص بكل صراحة، تتعرض للفحص المسبق. فيطرح السؤال التالي : ماذا يوجد في ما وراء هذه الأعمال ؟ أو بعبارة أخرى : من يكون هذا الذي يختفي خلف نفسه ؟

إلا أن ثنائية عميقة تهدد التحليل النفسي الفرويدي. ففرويد الذي شق السبيل لفهم الوعي الكاذب، وخداع الذات، كان مفكرا جذريا رغم أنه لم يكن ثوريا، لأنه تجاوز بمقدار معين حدود مجتمعه. لقد انتقد مجتمعه بالخصوص في كتابه «مستقبل وهم». لكنه من جهة أخرى كان يغوص بعمق في الأحكام الفلسفية لعصره ولطبقته. بقي اللاوعي الفرويدي مقتصرا على الجنسية المقموعة، وأعيدت كل مظاهر السلوك إلى تعاقب الليبيدو في الطفولة، كما أن انتقاداته للمجتمع اقتصرت على القمع الجنسي فقط. ظهر فرويد في اكتشافاته الكبيرة، مفكرا جذريا وجريئا ولكنه في التطبيق كان محاصرا باعتقاده الذي لم يتراجع عنه، ومفاده أن هذا المجتمع، رغم عدم كفايته مطلقا، هو آخر شكل من التكور الإنساني، والذي لا يمكن أن نصلح فيه أية سمة أساسية.

نظرا لهذا التناقض الملازم لفرويد ولنظريته، يفرض السؤال التالي نفسه : أي وجهة من وجهتي مذهب فرويد سيطور تلاميذه ؟ هل سيتبعون فرويد الذي أكمل كوبرنيك وداروين وماركس ؟ أم سيكتفون بفرويد الذي لم يتجاوز فكره ومشاعره الممارسة والإيديولوجية البرجوازية ؟ هل سيجعلون من نظرية فرويد الخاصة باللاوعي التي تستند على الجنسية نظرية عامة موضوعها جميع التجارب النفسية المقموعة ؟ أم سيجعلون من الشكل الفرويدي الخاص للتحرر الجنسي شكلا للتحرر بتوسيع اللاوعي ؟ وبتعبير أشمل، هل سيطورون أفكار فرويد الأكثر قوة وثورية، أم سيؤكدون على النظريات التي يستوعبها مجتمع الاستهلاك بسهولة فائقة ؟

كان بإمكان فرويد أن يتبع الاتجاهين معا. إلا أن أتباعه الأرثوذكس

اختاروا فرويد المصلح وليس فرويد الجذري. ولم يتمكنوا من تطوير النظرية، عبر فصلهم لاكتشافاته الأساسية عن تاريخيتها الضيقة، ليجعلوا منها إطارا أكثر اتساعا وأكثر جذرية (...) فمعظم الذين أتى بهم فرويد على رأس حركة التحليل النفسي كانوا غير قادرين على النقد الجذري، ولقد اختارهم لولائهم الثابت له. وكانت تصرفات معظمهم مثل تصرفات البيروقراطيين في الحركات السياسية.

أما بعض الأتباع الآخرين فقد ابتعدوا عن فرويد، منهم يونغ (Carl Gustave Jung) لأنه كان رومانسيا محافظا، وآدلر (Alfred Adler) لأنه كان عقلانيا أكثر سطحية رغم موهبته الفذة، ورانك (Otto Rank) لأنه طور وجهات نظر أصيلة وأبعد بسبب غيرة منافسيه لا بسبب قطعية فرويد، وفرينزي (Sandor Ferenczi) الأكثر تعاطفا وإبداعا بين أتباع فرويد، والذي لم يطمح لأن يكون زعيما ولم تكن لديه الجرأة الكافية للانفصال عن فرويد، لكنه أبْعد بقسوة في أواخر أيامه، ووهلم رايش (Wilhelm Reich) الذي أبعد لأنه طور نظرية فرويد الجنسية إلى نهايتها الأكثر جذرية.

إريك فروم، Erich Fromm، **أزمة التحليل النفسي**، ترجمة د. طلال عتريسي، بتصرف، الطبعة الأولى. 1988، ص : 12 ـ 15.

IV .2. نقد المحتوى الجنسي للاوعي الفرويدي

كارل غوستاف يونغ

اتخذ علماء النفس التجريبيون، الذين ظلوا يعتبرون أنفسهم الممثلين الحقيقيين للسيكولوجية العلمية، موقفا سلبيا من مفهوم اللاوعي على أساس أن كل ما هو نفسي هو شأن من شؤون الوعي الذي هو وحده الجدير بأن يوصف بـ«النفس». كانوا يسلمون بأن محتويات الوعي تختلف عن بعضها البعض في درجات الوضوح (...) لكنهم لم يقروا بوجود محتويات غير واعية لأن كلمة «اللاوعي» تنطوي على تناقض.

توصلتُ بعد خمسة عشر سنة من أبحاثي التجريبية الخاصة، وبمعزل عن مدرسة فرويد، إلى الاقتناع بوجود سياقات غير واعية وبأهميتها، وقد أشرتُ إلى الأساليب التي يمكن أن أبرهن من خلالها على وجود اللاوعي. واستطعتُ بالتعاون مع عدد من تلامذتي أن أبرهن أيضا على أهمية السياقات اللاواعية لدى غير الأصحاء عقليا. ونتيجة لهذا التطور الطبي الصرف، اتخذ مفهوم اللاوعي سمة مستمدة من العلوم التطبيقية، في بادئ الأمر. وقد ظل مفهوما طبيا صرفا في مدرسة فرويد. تذهبُ هذه المدرسة إلى أن الإنسان، بما هو كائن متمدن، لا يستطيع أن يلبي عددا كبيرا من بواعثه ورغباته الغريزية، لأنها تتعارض مع القوانين والقيم الأخلاقية. لذلك يضطر إلى كبح جماح هذه الرغبات إن كان يريد التكيّف مع المجتمع.

إن افتراض وجود مثل هذه الرغبات لهو افتراض معقول جدا، ويمكننا أن نتحقق منه في كل وقت ولدى كل إنسان باستخدام قدر ضئيل من الإخلاص. غير أن هذه الرؤية تصل بنا إلى توضيح أن الرغبات التي تتنافى مع المجتمع، الرغبات غير المقبولة، هي رغبات موجودة أصلا. لكن الخبرة تبين أن الوقائع تختلف اختلافا جليا عندما يتعلق الأمر بالحالات الفردية. تثبت الخبرة في هذه الحالات انهيار الجدار الرقيق الفاصل بين الرغبة ووعي الرغبة بسبب كبح جماح الرغبة غير المقبولة إلى أن تصبح غير واعية، منسية، يحل محلها تبرير عقلاني إلى حد ما. وهذا ما يسمى الكبت الذي يتميز عن الكبح الذي يفترض بقاء الرغبة في نطاق الوعي، وبقاء المحتوى الذي يتعارض مع المجتمع موجودا سواء كبتناه أو نسيناه (...)

لقد بات الآن من الأمور التي يمكن البرهنة عليها في يسر أن الغالبية العظمى من هذه المحتويات التي لا تتوافق مع المجتمع ذات صلة وثيقة بظاهرة الجنس. فالجنس غريزة أساسية، كما يعرف الكل، نحيطها بالسرية ونتناولها بمنتهى اللباقة. والجنس عندما يتخذ هيئة الحب، يكون سببا في أكثر الانفعالات هياجا، وأكثر الشهوات توحشا، وأعمق حالات اليأس،

وأبعد الأحزان خفاء، وأشد الخبرات إيلاما. والجنس وظيفة هامة فيزيائية ونفسية ذات تفرعات كثيرة، ويتوقف عليها كامل المستقبل البشري (...)

ترد النظرية الفرويدية الشهيرة كل شيء إلى الجنس، وترسم صورة للاوعي تجعلها تبدو نوعا من قمامة تُلقى فيها جميع الأشياء التي هرّبها فرويد إلى مفهوم الجنس. لقد وسّع فرويد من نطاق الجنس إلى ما وراء الحدود المسموح بها، حتى لأرى أن كلمة «إيروس» أصلح كلمة للتعبير عما يريده فعلا، بالمعنى الفلسفي القديم المراد من «إيروس» الذي يسري في الطبيعة كلها بما هو قوة مبدعة ومنتجة. والجنس أبأس تعبير عن هذا المعنى. لكن مفهوم الجنس قد اصطلح عليه بما هو كذلك، ويبدو أن له مثل هذه الحدود محدّدة، حتى ليتردد المرء في استكمال كلمة «الحب» عندما يتكلم عن مجرد الجنس.

لقد تمسكت الحركة الفرويدية بنظرية الجنس تمسكا عنيدا. والحق أنه ما من مفكر أو باحث حيادي لا يقر فورا بالأهمية الفائقة للخبرات والمنازعات الجنسية أو الإيروسية. لكنه لا يستطيع أبدا أن يثبت أن الجنس هو الغريزة الأساسية الوحيدة والمبدأ الفاعل الوحيد في النفس الإنسانية، بل يسلّم بأن النفس جهاز معقد إلى أبعد حدود التعقيد (...) مهما كانت الغرائز أو الدينامية البيولوجية التي قد يطرحها الفرويديون أو يسلمون بها الآن وفي المستقبل، فإن من الثابت استحالة اعتماد غريزة بعينها اعتمادا حصريا كالجنس باعتبارها المبدأ الأساسي للتفسير (...) فلو رفضنا النظرية القائلة إن اللاوعي جنسي، واستبدلناها بنظرة تقول بأنه طاقة، لتعين علينا القول إن اللاوعي يحتوي على كل شيء نفسي لم يبلغ عتبة الوعي، أو أن شحنته من الطاقة لم تسمح له بالبقاء في الوعي، أو أنه لم يبلغ الوعي إلا في المستقبل. وعندئذ نستطيع أن نتصور كيف يتكون اللاوعي. لقد تعرفنا على المكبوتات باعتبارها محتويات للاوعي، ويجب أن نضيف عليها النسيان. عندما نقول أننا نسينا شيئا ما، فإن هذا لا يعني أنه قد تلاشى، كل ما في الأمر أنه قد أصبح خارج الوعي، لقد غاصت شحنته من الطاقة إلى عمق لم يمكنه من

الظهور في الوعي، لكنه إذا ضاع في الوعي فإنه لم يضع في اللاوعي (...)

يتكون اللاوعي الشخصي من مكتسبات مستمدة من الحياة الشخصية. لذلك عندما يقع شيء في اللاوعي سرعان ما تتلقفه شبكة التداعيات التي شكلتها هذه المادة غير الواعية. غير أن مفهوم اللاوعي الشخصي لا يتيح لنا أن نفهم طبيعة اللاوعي فهما تاما. إذ لو كان اللاوعي شخصيا فقط، لكان من الممكن نظريا أن نتعقب نزوات إنسان مجنون وإرجاعها إلى اختياراته وانطباعاته الفردية. إلا أن هناك نزوات معينة من العبث أن نبحث عن جذورها في حياة الفرد الماضية (...) إنها نزوات لا تنتج عن الحياة الشخصية وإنما تنتج من الأساطير.

إن مصدر تلك النزوات هو الدماغ الموروث وليس الذاكرة الشخصية، وهي عبارة عن مخلوقات جديدة تتميز بالأصالة والإبداع، لأنها ناتجة عن فعالية الدماغ المبدعة وليس عن مجرد التذكر. فالناس يرثون، إضافة جانب الجسد، عقلا متميزا عالي المستوى يصطحب معه كل تاريخه، وعندما يغدو عقلا خلاقا فإن ذلك يعني أنه استمد قدرته على الخلق من تاريخ البشرية (...) إن هذا اللاوعي المدفون في بنية الدماغ والذي لا يكشف لنا عن حضوره الحي إلا بواسطة النزوات المبدعة، هو لاوعي يتجاوز اللاوعي الشخصي إنه لاوعي يحيا في الإنسان المبدع، ويكشف عن نفسه في رؤى الفنان، وفي وحي المفكر، وفي خبرة الصوفي الجوّانية. إن هذا اللاوعي الذي يتجاوز شخصية الفرد من حيث إنه موزع في جميع أنحاء البنية الدماغية، هو أشبه بروح مبثوثة في الكل. إنه يعرف الإنسان كما كان دائما وليس كما هو في هذه اللحظة، يعرف الإنسان بما هو أسطورة. لهذا السبب كانت الصلة ما بين اللاوعي الشخصي واللاوعي الجماعي امتدادا للإنسان إلى ما وراء نفسه.

كارل غوستاف يونغ، (Carl Gustav Jung)، **دور اللاشعور ومعنى علم النفس بالنسبة للإنسان الحديث**، ترجمة نهاد خياطة، بتصرف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1992، ص 5 ـ 15.

IV .3. المحتويات المكبوتة في اللاوعي

كارل غوستاف يونغ

إن العناصر النفسية التي توجد في الكائن من حيث لا يدري، والتي يشكل مجموعها ما ندعوه اللاوعي، تتألف، وفقا للنظرية الفرويدية، من ميول مرحلة الطفولة وحسب. هذه الميول، نظرا لعدم توافقها مع العوامل الواعية النفسية، تكون مكبوتة. والكبت عملية تنساب وتتأسس منذ الطفولة الأولية : فهو كالصدى الداخلي الذي يجيب على تأثير الأقارب. وبفضل التحليل تزول المكبوتات وتصبح الرغبات المكبوتة واعية. لا يحتوي اللاوعي إذن بحسب النظرية الفرويدية إلا على عناصر من الشخصية تستطيع مع ذلك أن تشكل جزءا من الوعي وهي، في الحقيقة، لم تُنحى ولم تُقمع إلا بالتربية (...)

إن الميول التي تنبثق بالشكل الأبرز هي ميول اللاوعي المكونة في الطفولة. مع ذلك من الخطأ تحديد اللاوعي بشكل عام وتقييمه وتقنينه، لأن له مظاهر أخرى وأبعادا أخرى وكيفيات وجود أخرى. لا تختزل محتويات اللاوعي في المحتويات المكبوتة، فهم يضم أيضا كل المواد النفسية التي لم تبلغ، رغم وجودها، القيمة والحدة اللتين تسمحان لها بعبور عتبة الوعي نحو اللاوعي. لكن لا يمكن أن تفسر السبب الذي جعل تلك العناصر تبقى تحت عتبة الوعي بآلية الكبت وحدها. لو كان الكبت طريقة العمل الوحيدة، لأدت إزالة المكبوتات إلى توفير ذاكرة مدهشة للإنسان، بمنأى عن النسيان. يحتفظ الكبت، كمبدأ موجه، بكل أهميته ولكنه ليس الآلية الوحيدة الفاعلة.

توجد في اللاوعي، إضافة إلى المواد المكبوتة، كل العناصر التي لم تعد محفوظة في الوعي، والتي انزلقت من تلقاء نفسها من جديد تحت عتبته، وخاصة كل الإدراكات الحسية. بالإضافة إلى ذلك، يخفي اللاوعي المواد النفسية التي لم تكتسب بعد مستوى ومرتبة الوعي : إنها بذور المحتويات

التي سيصبح بعضها لاحقا واعيا. كما أن اللاوعي لا يتسم بالجمود والراحة وعدم الفعل، بل على العكس من ذلك، ينشغل دوما بخلط محتوياته وتجميعها وإعادة تجميعها.

ولن تستقل هذه الفعالية الطبيعية والضرورية عن الوعي إلا في الحالات المرضية، وبقدر ما تبقى فعالية اللاوعي داخل حدود ما هو طبيعي، فإنه يظل مترابطا مع الوعي الذي يقيم معه بشكل خاص علاقات تحويل أساسية.

وبما أن الوجود الشخصي محدود، فإن مكتسباته المودعة في اللاوعي يجب أن تكون محدودة كذلك. وهذا يعني أنه من الممكن امتصاص محتويات اللاوعي بالتحليل، وبالتالي إمكانية القيام بجرد كامل لمحتوياته : لن يستطيع اللاوعي عندئذ إنتاج أي شيء آخر أو أي شيء جديد لم يعط فرصة للوعي به، أي دون أن يكون الوعي قد تعرف عليه سابقا وقبله. ولقد قاد التزام العقل بهذه الطريق إلى الاستخلاص بأن الإنتاج النفسي اللاوعي يصبح مشلولا لأنه ما إن يُحذف الكبت نتمكن من تجنب تسرب محتويات واعية إلى اللاوعي.

لم يتم أبدا التحقق من هذه التوقعات بالوقائع، وهي عمليا غير قابلة للتحقق إلا بدرجة بسيطة، كما تؤكد التجربة ذلك. وعلى سبيل المثال : نحض المرضى بإصرار على الاحتفاظ بالمحتويات العقلية، التي كانت مكبوتة سابقا، وأصبحت من جديد منضمة للوعي بفضل التحليل، حاضرة في الذهن، ونطلب من كل واحد منهم أن يمنحها المكان الذي هو مكانها. لكن هذه الطريقة في التصرف لا تمارس على اللاوعي التأثير المأمول، وهو ما يمكننا التأكد منه عدة مرات في اليوم الواحد، فاللاوعي يستمر بلا انقطاع في خلق أحلامه واستيهاماته مع العلم أن هذه الأخيرة، حسب النظرية الأساسية لفرويد، يجب أن تنضب بما أنه يُفترض أنها تتأثر بالمكبوتات الشخصية التي تحررت وإذا تابعنا المراقبة في الحالات المماثلة بصورة منهجية وبدون أحكام

مسبقة، نكتشف سريعا مواد تشبه بالتأكيد، من حيث الشكل، المحتويات الشخصية المصادفة سابقا، ولكنها تظهر أيضا مخبئة تلميحات تتجاوز المستويات الشخصية.

كارل غوستاف يونغ، Carl Gustav Jung، **جدلية الأنا واللاوعي**، ترجمة نبيل محسن، بتصرف، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 1997، ص : 11 ـ 13.

IV .4. اللاوعي بين البيولوجي والاجتماعي

أوتو رانك

التحليل النفسي هو، كما يقتضي ذلك اسمه، منهج لدراسة الظواهر النفسية. لكن نتائجه إلى حد الآن لم تمكن من التمييز ما بين العوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تمتزج وتتفاعل في الظواهر المعقدة التي تميز علاقة الأنا بالعالم الخارجي. إنه لامتياز كبير ذلك الذي يحظى به التحليل النفسي والمتمثل في مصدره الذي هو علم الأمراض. ولكن فرويد اضطر للاهتمام بعلم النفس العادي بما أن كل الاكتشافات التحليلية النفسية تقود إلى معرفة أفضل بما هو عادي دون أن تتمكن من تفسير ما هو مرضي بشكل خاص. إن سلبية هذا الوضع هو كون فرويد، وهو يمارس دوره كباحث، لا يمكنه ألا يتشبث بموقفه العلاجي الطبي، بالرغم من أنه يواجه ظواهر تتجاوز المجال الضيق للطب، وتكمن الصعوبة التي يواجهها في كون المجال النفسي، أي ما هو مرضي، لا يتمظهر بنفس الكيفية التي يتمظهر من خلالها ما هو جسدي، أي أن العامل كمي وليس كيفيا.

إن حياتنا النفسية هي حلقة رابطة ما بين الدوافع البيولوجية وضوابطها الاجتماعية. وتشكل بهذه الكيفية وسيلة ملائمة لتحقيق توازن ما بين ما هو بيولوجي وما هو اجتماعي. ويثير عدم التكيف المرضي اضطرابات بيولوجية وجنسية واجتماعية. وتقع هذه الاضطرابات ما بين المجال البيولوجي والاجتماعي، وبالتالي لا يمكن إبرازها وضبطها في أي من المجالين.

لذلك فإن محاولة التحليل النفسي الهادفة للفهم والتفسير انطلاقا من قاعدة نفسية خالصة هي محاولة غير مُرضية لأن المجال النفسي ليس هو أرض المعركة التي تتصارع فيها بشكل محتدم ولانهاية له قوتان أساسيتان هما المكون البيولوجي والمكون الاجتماعي. إذا فحصنا المشاكل التحليلية النفسية من هذه الزاوية، فيمكننا تصنيفها إلى مجموعتين يمكن دراسة كل مجموعة منهما على حدة إلى حدّ ما، لأن الظواهر معقدة في حد ذاتها وهاتان المجموعتان هما : المكون الجنسي بالمعنى البيولوجي والمكون الاجتماعي بالمعنى الإنساني (...)

إن العامل المميز للتنظيم الاجتماعي الإنساني هو كونه يرتكز على افتراضات ونتائج نفسية بحيث يقوم الدافع الجنسي بدوره نفسيا واجتماعيا متخذا صيغا نسميها : الحب، الذي يمكن أن يكون خاصية إنسانية محضة. تمثل الحياة الغرامية للإنسان الراشد الدافع الجنسي البيولوجي في مرحلة التكيف الاجتماعي. لقد اعترف فرويد بهذا المشكل الإنساني المركزي في تصوره الأسطوري للموقف الأوديبي، لكنه لم يتمكن من الذهاب إلى أبعد من هذا الموقف حيث العوامل البيولوجية والاجتماعية والنفسية تمتزج وتفاعل فيما بينها. ولما قام بتحليل الموقف الأوديبي لم يتجاوز تصوره الذي يرى بأن الأم تمثل الموضوع الجنسي، وأن الأب يمثل الضوابط الاجتماعية. لكن إذا تتبعنا العلاقة مع الأم على المستوى الوراثي، وهو الشيء الذي قمتُ به في كتابي صدمة الميلاد (Le traumatisme de la naissance)، انطلاقا من الموقف الأوديبي، الذي يقدم تصورا اجتماعيا، وصولا إلى الأصول البيولوجية والنفسية (...) سنحصل على تصور مخالف تماما لتصور فرويد.

يدفعنا الموقف الوراثي إلى تصور العلاقة مع الموضوع انطلاقا من الأنا. فمنذ البداية تم تكوُّن وتطوُّر الأنا تحت تأثير العلاقة بالموضوع، كما يمارس الأنا بدوره تأثيرا على العلاقة بالموضوع، فالعلاقة متبادلة، ومن جهة أخرى، فإن هذه العلاقة الأولية تخص الأم وحدها ولا تخص الوالدين معا (...) إن

العيب الأساسي في منظور التحليل النفسي يكمن بصفة عامة في مبالغته في تقدير دور الطفولة وإهماله للمراحل التي تليها.

Otto Rank, *Les fondements d'une psychologie génétique*, Le Cop ـ héron, 2006/4, n° 187, p. 52 - 58.

IV .5. الأحلام بين الوعي واللاوعي

ألفرد آدلر

يعالج فرويد الحلم على أنه يحمل معنى يمكن فهمه بطريقة علمية، ومع هذا فإن طريقة فهم فرويد للأحلام قد أبعدتنا عن النطاق العلمي، فعلى سبيل المثال يفترض هذا الأسلوب وجود فرق بين الطريقة التي يعمل بها العقل خلال ساعات اليقظة وبين الطريقة التي يعمل بها خلال النوم، فهو قد قام بوضع «الوعي» و«اللاوعي» في موقف تضاد، كما أنه أعطى للحلم قواعده وقوانينه الخاصة به والتي لا تتفق مع قواعد التفكير اليومي، وفي رأيي أنه عندما تتواجد مثل هذه التناقضات فلا بد من أن نستشف وجود مواقف غير علمية.

في تفكير البشر البدائيين والفلاسفة القدماء، نجد الرغبة في معالجة مفاهيم شديدة التناقض على أنها متضادة متنافرة، إن هذه الازدواجية في التفكير يمكن أن نراها بوضوح في الأشخاص العصابيين، فإن البشر كثيرا ما يعتقدون أن اليسار واليمين هما متضادان كما يعتقدون أن الرجل والمرأة، البارد والساخن، الخفيف والثقيل، القوي والضعيف، كلها مفاهيم متضادة. من الناحية العلمية لا يوجد تضاد بين أزواج هذه المعاني فإنها كلها ليست أكثر من علامات على الميزان، مرتبة طبقا لبعدها أو قربها من مبدأ خيالي، فالطيب والشرير، والطبيعي وغير الطبيعي، والعادي وغير العادي، كلها ليست بالضرورة متضادات، وأي نظرية تعالج مسألة النوم واليقظة، وأفكار الأحلام وأفكار اليقظة على أنها متضادات تكون غير علمية.

هناك مشكلة أخرى في الطريقة التي ينظر بها فرويد للأحلام، فإنه يضع جميع الأحلام على خلفية جنسية، وهو بهذا يفصلها عن تطلعات ونشاطات الأشخاص العاديين، ولو كانت وجهة نظره صحيحة لكانت الأحلام تعبيرا عن جزء من شخصية الفرد وليس الفرد ككل، حتى الذين يؤمنون بنظرية فرويد في وجود خلفية جنسية لمعظم الأحلام وجدوا أن هذه النظرية غير مناسبة لتفسير جميع الأحلام، وكان فرويد قد اقترح إمكانية رؤية آثار الرغبات غير الواعية في الموت.

ليست الأحلام إلا محاولات للوصول إلى حل بسيط لمشكلات الحياة، وهي بهذا تكشف عن نقص الشجاعة عند الفرد، ولكن هذه النظرة الفرويدية هي نظرة تمثيلية، تنحصر في إعطاء مثال ـ ولا تقربنا من اكتشاف حقيقة شخصية الفرد والكيفية التي تنعكس بها شخصيته على أحلامه. وهكذا فإننا سنجد أن حياة الأحلام مفصولة عن حياة اليقظة، كما أن فرويد يؤمن بأن الحلم نفسه غير مهم ولكن الأفكار التي تختفي وراءه مهمة.

نصل في علم النفس الفردي إلى نتيجة مشابهة، ولكننا نكمل ما ينقص التحليل النفسي الخاص بفرويد وهو الاعتراف بوعي الشخصية، والوحدة بين الفرد وأفكاره وأعماله وأقواله (...) ينبني التحليل النفسي على دراسة الطفل المدلل وحدها، ولكن تطلع الفرد لإشباع رغباته ما هو إلا جانب واحد من ملايين الجوانب التي يسعى الفرد لتحقيقها في محاولة الوصول إلى «التفوق». ونحن لا نستطيع أن نتقبل هذا الجانب كدافع محوري لكل التعبيرات الصادرة عن الشخصية، لو أننا تمكنا من اكتشاف الدافع الحقيقي والغرض من الأحلام فإن هذا سوف يساعدنا على فهم الغرض الذي تخدمه عملية نسياننا للأحلام أو عدم قدرتنا على فهمها.

ألفرد آدلر، **معنى الحياة**، ترجمة عادل نجيب بشرى، بتصرف، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، 2005، ص : 135 ـ 138.

IV .6. اللاوعي حسب ألفرد أدلر

روبير سيْشيون وُودْوُورت

إذا نظرنا إلى سيكولوجيا أدلر كمذهب أو نظرية، فسنجدها منسجمة تمام الانسجام. ويبدو أن من البساطة جدا أن نسميها سيكولوجيا الأعماق. فاللاوعي يلعب فيها دورا ضئيلا نسبيا، ولا ينظر إليه على أنه منفصل عن الحياة الواعية. ويصبح بهذا أسلوب الحياة هو الخاصية الأساسية الملازمة للفرد بطبيعة الحال، ولهذا قلما فُهم، حتى لربما سميناه لاوعيا إلا انه يصير وعيا بنسبة ما عندما يُفهم.

يواجه ألفرد آدلر الحقيقتين الأوليتين لفرويد، أي المقاومة والتحول، في علاجه للمصابين بأمراض عصابية، ولكنه يفسرهما على نحو مخالف لمنهج فرويد. ينظر إلى المقاومة لا بوصفها ممانعة لاواعية لظهور رغبات مكبوتة قديمة، بل كدفاع ضد العلاج ذاته : المريض يخشى أن يشفى، لأنه إذا شفي سيقوم بأعمال ربما فشل فيها، وينطبق ذلك على التحول : فإذا وقع المريض في حب الطبيب، فليس ذلك حبا حقيقيا، بل مجرد وسيلة للتفوق عليه، وبوجه عام، فالوعي واللاوعي ليسا كائنين منفصلين أو نقيضين متصارعين في الفرد، ولكنهما يرتبطان معا بما لهما من رغبات وميول بعينها. ويكون مركبُ النقص اللاوعي والوعيُ الباحثين عن القوة وحدة ديناميكية. ولذلك يرى ألفرد آدلر أنه ليست هناك حاجة إلى «كائنات متحاربة» مفترضة.

روبير سيْشيون وُودْوُورت، (Robert Sessions Woodwort)، **مدارس علم النفس المعاصرة**، ترجمة كمال دسوقي، بتصرف، دار النهضة العربية، 1971، بيروت 1981، ص 248 ـ 249.

IV .7. يونغ وإغناء مفهوم اللاوعي

روبير سيسْيون وُودْوُورت

اللاوعي فكرة لها عند يونغ من الدلالة ما لها عند فرويد. وماعدا هذا، فإن يونغ يضيف إليها معان أخرى، فهو قد ميز بين اللاوعي الشخصي واللاشعور الجمعي أو النوعي. فاللاوعي الشخصي يتكون في جزء منه بالكبت من الوعي ـ كما بين فرويد، لكنه يشمل أيضا ـ عند يونغ ـ خبرات ومعرفة أخرى قد نسيت أو تحللت من الوعي. وكذلك المادة الأخرى التي حصلت بطريق لاواعي. وأكثر أهمية اللاوعي الجمعي، الذي عنه تنشأ الحياة اللاواعية والواعية للفرد كلاهما. ونادرا ما يظهر هذا اللاوعي الأعمق في الأحلام أو في الأمراض العصابية، ولكن أخيلة الأشخاص المخبولين فعلا تأتي أحيانا بأفكار غريبة، وطرق للتفكير تبدو شبيهة بآثار التفكير البدائي للنوع.

واللاوعي الجمعي أو النوعي يتوارث. فهو يورث ـ ككل شيء آخر ـ عن طريق التركيب العضوي : فتركيب المخ الموروث يجعل الفرد يفكر ويفعل كما كانت عادة النوع أن يفكر ويفعل خلال أجيال لا حصر لها من الحياة البدائية. واللاوعي الجمعي يمكن أن يعرف بأنه تركيب من غرائز بدائية أو «نماذج أصلية». فالغرائز طرق بدائية للفعل، والنماذج طرق أولية للتفكير. إلا أن الاثنين لا يمكن أن ينفصلا تماما، لأن التفكير والفعل يسيران معا، وخصوصا في صور الحياة البدائية (...)

فاللاوعي الجمعي لا يحتوي أفكارا دقيقة أو شيئا مصقولا، ولكنه يحتوي طرقا طبيعية للتفكير، وخطوطا لأقل مقاومة، وميولا تنجذب في أفكارنا نحو النماذج الأولية للفكر. ففي الأحلام، وفي مخاوف الطفل من الليل، وفي هلوسات المجنون وأوهامه، بل وفي الحياة الواعية عندما ننصرف عن رقيبنا إلى شيء لم نكن نتوقعه بالمرة كزلزال مثلا... فإن أفكارنا المكتسبة

عن العمليات الطبيعية تضيع منا، ونفكر بطريقة حيوانية أو تأتينا أفكار أولية غامضة عن سحر نحسه جميعا وعن الأرواح والجن والسحرة والتنين والشياطين. فالأب، والأم، والطفل، والذكر والأنثى، والنشوء والارتقاء والفساد، كلها حقائق أولية قد فرضت نفسها على الفكر النوعي حتى أنها لتظهر دائما كرموز في الفكر الحاضر.

روبير سيشيون وُودْوُورت، (Robert Sessions Woodwort)، **مدارس علم النفس المعاصرة**، ترجمة كمال دسوقي، بتصرف، دار النهضة العربية، 1971، بيروت 1981، ص 257 ـ 258.

IV .8. البعد الرمزي للاوعي عند لاَكَانْ

عدنان حب الله

يرى لاكان أن دينامية التحليل تقوم على أساس العلاقة مع الآخر الكبير (الذي هو المحطة التي تعطي للكلام معناه وتفك رموزه وهو كنز الدّوال) الذي يتجسد بوجود المحلل. وإذا أردنا أن نفهم ماهية اللاوعي، فما علينا إلا أن نكشف عما يتحكم في علاقة الذات بالآخر. وهي، كما يؤكد لاكان، علاقة لغوية منذ أن ارتبط الرضيع بطلباته من الأم، أي لا وجود لشيء ما خارج إطار اللغة، فكل التخيلات والأفكار هي تعابير لغوية يتداولها الإنسان في علاقته مع الآخر لكي يعطي تعبيرا عن وجوده ورغباته. ولكن لهذه اللغة قوانين وقواعد لا يمكن تجاهلها أينما وجدت. الحاضر، والماضي، والمستقبل، والأنا، والمخاطب، والغائب. وهي ترتكز على عمودين : أفقي، تترابط المعاني فيما بينها بوصال مجازي، وعمودي تستخلص المعاني منه حسب أصول الكناية. ومن هذا المنطلق وجد لاكان أن هناك تشابها كبيرا مابين اللغة المتداولة وبين اللاشعور، فما هو مجاز يصبح في اللاشعور تكثيفا، وما هو كناية يصبح نقلة، وهذا ما أسهب فرويد في شرحه في كتابه تفسير الأحلام. وتوصل لاكان إلى اعتبار اللاشعور «مركبا

كاللغة». وليس التحليل النفسي إلا عملية لإخراج هذا اللاشعور من حيز الكبت إلى حيز الفعل عبر ديناميكية العلاقة المتمحورة حول التحويل، وذلك عبر تسلسل كلامي يحوي في طياته رغبات كانت إلى حد الآن في طي الكتمان، بل أكثر من ذلك، يعطي لمفهوم الذات، ولموقعيّة الأنا (أي الوصف المكاني للأنا) تصورا بناء فيه تجديد، وتحول لصفتها. فالإنسان لا يستطيع أن يعطي معنى لوجوده إلا عبر اللغة التي تعبر عنه، والتي تكونه. فهو تركيبة لغوية يتوخى من خلالها التعريف عن ذاته بكل رغباتها، وبالمقابل انتزاع رغبة الآخر بالاعتراف بها. وهذا ما يلخص العمل التحليلي، لأن الإنسان جاهل في أكثر الأحيان فيما يرغب، تائه في سراب التماهيات النرجسية التي تضلله نتيجة اختلاط الأمر عليه مابين طلبه ورغبته.

عدنان حب الله : **التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان**، مركز الإنماء القومي 2009، الصفحة 89.

IV .9. اللاوعي حسب جَاكْ لاَكَانْ

كاترين بونينغ

تلقى لاَكَانْ هذا الدّال الذي هو اللاوعي من فرويد. وهو دالّ سيصبح اسما للأب بالنسبة للتحليل النفسي. يعرّف لاكان اللاوعي باعتباره عابرا للفرد. هو انبثاق خطاب الآخر في خطاب الذات، هو عيْب في التكلم، فصل ممنوع من تاريخ الذات، يحتله فراغ أو أكذوبة، ما لم يتمكن من الحصول على معناه، ما لم يتمكن من الانتقال من المعنى إلى داخل الخطاب. يتموقع اللاوعي في الآخر، وهو حامل للدّوال، ويتحكم في الذات، هو شيء يوجد في الخارج، فالمرء لا يوجد في بيته داخل لاوعيه. وتجعل الكلمة الملتبسة والساخرة اللاوعي خطابا فعليا ما بين الذات والآخر.

اللاوعي هو السياسة، أي الترجمة المبسطة لخطاب السيد باعتباره خطابا للاوعي، وذلك لأن هذا الأخير لا يخص أحدا بعينه. انطلق لاكان من

المُمثِل الرمزي والتّمثيل الرمزي لدى فرويد ليضع الدّال كأساس للاوعي الفرويدي. لقد أفرغ اللاوعي الفرويدي لإعادة هيكلته كلغة. وأعاد التفكير فيه في علاقته بالبنية التي تمنحه وضعه. يوجد في قلب اللاوعي كائن آلي. اللاوعي الفرويدي يتعلق بالمنطق الخالص، بالدّال، وستُعرّف الرغبة اللاواعية باعتبارها تعويضية وكنائية وليست رغبة للاعتراف، إنها غير قابلة للإخماد.

اللاوعي بنية رباعية الأجزاء. والعدد أربعة يؤسسها ويعرفها. اللاوعي يمارس التكرار، يكرر نفس تشكيلة اللاوعي، أي العَرَض. وتتكثف بنيته في الاستيهام. ويُجيب عبر العصاب والانحراف والذهان. اللاوعي جواب للواقع الذي يتبنى قضية الآخر وسؤاله. إنه يخترع معرفة حيث لا وجود لعلاقة جنسية، حيث لا وجود لدالّ المرأة. ليس هناك آخر الآخر. يظهر اللاوعي/ التكرار كتكرار للمماثل، مضفيا قيمة على ما هو واقع في اللاوعي. وبذلك تُبرّر مزايا ثقل الماضي.

اللاوعي يؤول. اللاوعي/ التأويل يظهر مثلَ ما يجبُ تحقيقه في العلاج التحليلي. يعارض وهم اللاوعي كمعرفة جاهزة، كذات افترضت أنها معرفة. اللاوعي/ التأويل لا يُفكّر إلا انطلاقا من عدم وجود الآخر.

اللاوعي يؤول بطريقة منحرفة. لاوعي الحقيقة الكاذبة جهد ضائع بخصوص المعرفة حول اللغة. يكذب اللاوعي فيما يتعلق بالواقع وبمكان المتعة. اللاوعي التحويلي هو جهد ضائع بخصوص المعرفة حول الواقع، إنه الحقيقة الكاذبة. اللاوعي حقيقة، لا يكون له معنى إلا شريطة انخراط الذات في سيرورة التحقق، إنجاز الحقيقة، أي إلا إذا تأكد كلامه باعتباره حقيقة، ووضع نفسه في حقل الآخر. اللاوعي هو الحقيقة ذاتها انطلاقا من اعتراض الدفاعات عن الاعتراف بها، جعل لاكان من اللاوعي حقيقة، بل الحقيقة أو موضع الحقيقة، وجعل من المعرفة الرقابة على الحقيقة. اللاوعي في الخطاب التحليلي هو اللاوعي/ الحقيقة، ويقدم نفسه تحت أنواع الاعتباطي : اللاوعي

معرفة. ولما يُحدَّدُ اللاوعيُ كمعرفة يتجاوز الذات. ويصبح آنذاك شيئا يُقال دون أن تعرف الذات ما يقوله. إن تعريف اللاوعي كمعرفة يجعل الحقيقة تنحرف في اتجاه رمز رياضي (الماتيم) لإفراغ الحقيقة من حمولتها العاطفية.

اللاوعيُ لا يُفكرُ، لا يُحصي شيئا، لا يُصدر أحكاما عن أي شيء، ولكنه يعمل. إنه يخضع لمبدأ اللذة. اللاوعي هو ذات يُفترض أنها معرفة. اللاوعي يُقرأ انطلاقا من تحليل نفسي حيث تظهر ذات يُفترض أنها معرفة كتشكيل منسجم بشكل مباشر مع العُدّة التحليلية. إنه يُعرّف انطلاقا من التحويل. يُعرّف كذات وليس كمعرفة جاهزة. واللاوعي كمعرفة يقدم نفسه باعتباره خاضعا لقوانين، وككائن آلي يحترم الوقت بدقة. اللاوعي كذات لا زمن له. إن وضعه هو وضع إيتيقي وليس وضعا متعلقا بالوجود : إنه دائما في وضعية ما سيحدث مستقبلا.

إن اللاوعي «كذات يُفترض أنها معرفة» هو افتراض معرفة على شكل متعة. المعرفة المفترضة على شكل متعة تتكلم في التحليل النفسي، وتفرض ذاتا تسمى اللاوعي. «اللاوعي/ الذات الذي يُفترض أنه معرفة» ليس اللاوعي كمعرفة. إنه يقع في مستوى الظاهرة، في مستوى الزّبَد. إنه اللاوعي/ الحدث الذي يندرج في نسيج الزمن كحدث. اللاوعي دافع غريزي. وهو دوام ثابت باعتباره ذاكرة، وانفتاح وانغلاق باعتباره نبضًا. اللاوعي خفقان بدون جوهر. تم إدماج شيء ما من المتعة في اللاوعي. تم التفكير فيه انطلاقا من إرادة المتعة. وسوف يُنعت بالكائن اللغوي وبالذات المتكلمة . يوازي الكائن كجسد متكلم اللاوعي.

اللاوعي هو في العمق غير/ المتحقق الذي يريد أن يتحقق. إنه إرادة الوجود. يوجد اللاوعي مضغوطا عليه من طرف الاستلاب/ العزل، وهو ما يعني تحقق نوع جديد من التحالف بين اللاوعي والهو الذين كانا مفترقين عن بعضها البعض في السابق. لا يمكن أن توجد قيمة ذات اللاوعي إلا انطلاقا من المكانة التي تحتلها في رغبة الآخر. ليس اللاوعي «جوْفا» (أي

داخلا). ليس جوهرا ولا خزانا. إنه القطيعة الفعلية ما بين الذات والآخر التي تختزل إلى نبض على الهامش. يمكن الحديث عن حدّ أقصى للاوعي.

اللاوعي مركّب كتركيب اللغة التي تُعرف هنا كشأن خاص وشخصي باعتبارها محملة ومشحونة بآثار الجسد والمتعة. إنه واقعة ناتجة عن اللغة. إنه انطواء الكلام وتكراره. ومعرفة اختزعها الجنس البشري ليستمر ويتوالد وليتجاوز العيب الملازم للعلاقة الجنسية. هو دفاع ضد الواقع وضد المتعة. إنه واقعي وليس خياليا ولا رمزيا. يقيدُ ويُربكُ. يقاوم التأويل. يوجد في وضعية انحراف بالنسبة للخطاب. واللاوعي الواقعي هو لاوعي غير قابل للتحويل. هو في وضعية الحدّ.

كاترين بونينغ، Catherine Bonning

www.causefreudienne.net/quest_ceque_linconscient_3/

IV .10. غموض التعبير عن اللاوعي

فيليب بويكنز

كتبت «مادان ساروب» (Madan Sarup) معلقة على كتابات جَاكْ لاَكَانْ قائلة : «تعتبر كتابات لاَكَانْ لغزا رمزيا لأن أسلوبه يضع حدودا لموضوع دراسته. فهو لا يشرح اللاوعي فقط، ولكنه يحاول تقليده. لا يصبح اللاوعي موضوع دراسة، ولكنه يصبح، بالمعنى الذي تفرضه قواعد النحو والصرف، الذاتَ، متكلمَ الخطاب. يعتقد لاكان أن اللغة تتكلمُ الذاتَ، وأن المتكلمَ هو ذاتُ اللغة وليس سيدَها».

يجد غموض تعبير لاَكَانْ هذا تبريرا له عبر الإحالة الداخلية إلى قضايا حول اللغة والذات : «اللغة تتكلمُ الذاتَ»، «ليس المتكلمُ هو سيدُ اللغة التي يتكلمُها». يبدو أن لغة «لاَكَانْ» هي لغة اللاوعي التي تستعملها قناة التلفظ المسماة «لاَكَانْ». وأن هذه القناة تقلد لاوعي «لاَكَانْ». إن كون «لاَكَانْ» يقلد لغة اللاوعي (لاوعي من يتكلم ؟) يقتضي أن لـ«لاَكَانْ» تصورا متلائما مع

اللاوعي (لا يمكن لأحد أن يقلد ظاهرة بشكل صحيح إلا إذا كان يملك تصورا يتلاءم مع الظاهرة المُقلدَة). لكن ماذا سيحدث لو أن «لاَكَانْ» قد فهم فهما خاطئا اللاوعي أو فهمه فهما جزئيا ؟ ما الذي سيقلده في هذه الحالة أسلوبه الغزير ؟

لنفترض أن أسلوب «لاَكَانْ» المغرق في الزخرفة تقليد للاوعي، أو أن اللاوعي يعلن هو ذاتُه نظريتَه (أي أن «لاَكَانْ» هو قناة صوتية لنظرية صادرة عن اللاوعي، صاغها لاوعيه الخاص؟). فإن هذا سيكون غير كاف لتبرير أسلوبه وبرهناته الغريبة. لماذا يستطيع «لاَكَانْ» الحديث بهذه الطريقة لما يريد تقديم نظرية ما ؟ إن كون الموضوع غير قابل للاختراق من جهة، وتقديم النظرية من جهة أخرى أمران غير مرتبطين ارتباطا داخليا، وإلا فإن كل مشروع يستهدف تفسير نظرية «لاَكَانْ» بكيفية مفهومة سيؤدي إلى تكوين صورة خاطئة عن نظريته.

تعاني بنية الحجاج المستعملة من طرف «مادان ساروب» من مشكل أساسي وهو أن غموض تعبير «لاَكَانْ» يجد تبريرا له انطلاقا من وجهة نظر تنطبق من داخل نظرية «لاَكَانْ». إن «مادان ساروب» تدافع عن غموض التعبير «اللاكاني» باستعمال قضايا «لاكانيّة» مثل «اللغة تتكلمُ الذاتَ»، و«المتكلمُ هو ذاتُ اللغة». وبرهانها هو التالي : بما أن اللغة تتكلم الذات، فإن نظرية «لاَكَانْ» تتكلمها لغة اللاوعي، على الأقل في حالته، ولما أن اللاوعي لغز رمزي، فإن كتابات «لاَكَانْ» يجب أن تكون هي أيضا لغزا رمزيا.

إن أسلوب «لاَكَانْ» الغامض ينسجم في أحسن الحالات مع ما يكتبه عن اللاوعي، لكن هذا الانسجام لا يبرر بطبيعة الحال غموض أسلوبه. ولما ينوي «لاَكَانْ» تقديم نظريته بطريقة مزخرفة، فإن اختياره يرتكز على اعتبارات عقلانية، ولا يمكن القول في هذه الحالة، إن لاوعيه هو الذي يتكلم. إن النوايا هي دوما حالات واعية وعقلانية تشهد على اتخاذ فاعل ما لقراراته.

Filip Buekens, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions des Arènes, 2005, p. 271-273.

IV .11. لاَكَانْ واللاوعي الفرويدي

فرانك شومون

إن القول بوجود لا ـ وعي اعتقاد راسخ يحظى بالإجماع، ولقد بوأته المكانة التي أعطيت له ـ مقارنة مع الوعي ـ من طرف العلوم العصبية والعلوم المعرفية مقاما رفيعا. لكن هل يتعلق الأمر باللاوعي ؟ نواجه هنا كل أشكال الخلط، ذلك أنه لا يمكن تجاهل ما منحه فرويد من حظ لهذا المفهوم لم يعرفه من قبل، وقد أضحى متداولا في اللغة العامية، حتى أصبحنا نستعمل، بدون مخاطر، نفس المفهوم للدلالة على مواضيع مختلفة .

ويمكن القول إن اللاوعي الفرويدي واللاوعي الدماغي مختلفان جذريا وذلك لسبب بسيط هو «موضوع اللاوعي». فمنذ أعماله الأولى لسنة 1875، بحث في طريقة إنتاج اللاوعي معتبرا إنه نتاج رفض موضوع، رفض الوعي لتمثل غير محتمل لعلاقته برغبة غير مقبولة. إذا أصبح تمثل ما غيرُ واع، فلأن موضوعا يقاومه، ويدفعه إلى «الأسفل»، وباختصار فإنه يكبته، والكبت هو السيرورة نفسها التي تنتج اللاوعي. وبعبارة أخرى، فلا وجود للاوعي إلا بفعل موضوع.

كيف يمكننا الولوج إلى اللاشعور ؟ نلجه عندما تفشل العملية السابقة، وعندما يخفق الكبت، وعبر المنافذ المتمردة التي تسمى بالزلات، الهفوات، الأحلام، الأعراض، أي ما يسميه لاَكَانْ بتشكيلات اللاوعي. وهذه التشكيلات لا تمنح نفسها للفرد كما هي، ولكن على العكس من ذلك، فهي موضوع إنكار ورفض وجهل. فالتجربة التحليلية هي وحدها التي تقودنا إلى الأخذ بجدية هذه الأشياء الغريبة والأجنبية والأكثر حميمية وألفة (...)

يتعارض الموضوع مع ذاته وهو ما يبرر الحديث عن تناقض : وقد أعطى لاكان اسما لهذا الكيان الجديد، وهو الموضوع المجزأ (...) إنه بالفعل الموضوع ولكنه منشطر. إلا أن هذا لا يعني أن الموضوع يمتلك وعيه، وتحته

أو بجانبه وعي آخر، بل في داخله وعبر فكره وأفعاله يتجزأ الموضوع. هذه النقطة حاسمة وذات نتائج نظرية وأخلاقية جوهرية : ففي التحليل النفسي، لا مجال للمصالحة، أو محو هذا الانقسام البنيوي، ولا أمل في انسجام في أفق العلاج، ولا وعد بالمصالحة. بعد التحليل النفسي اللاكاني، لم تعد هناك إمكانية لفصل الموضوع الواعي عن الموضوع اللاوعي، فهو نفسه وآخر في نفس الوقت، فهو موضوع مجزأ. وهذه الصعوبات في التمثلات هي التي قادت لاكان إلى اعتماد المنطق، الطوبولوجيا ونظرية العقد لمحاولة الإلمام بتلك التمثلات.

Franck Chaumon, *Bulletin interactif du Centre International et Etudes transdisciplinaires* No 20, décembre 2007 (p2_1)

IV .12. اللاوعي لُغةٌ مُستقلَّة بِذَاتها

عدنان حب الله

يقول لاَكَانْ أن «اللاوعي مبني كبناء اللغة»، وهو بمثابة العروة الوثقى، والمحور الأساسي الذي انطلق منه «لاَكَانْ» في مجهوده الفكري. وإذا كان من السهل إطلاق مثل هذه الفكرة فالصعوبة تكمن في البرهان على ذلك، لأن مثل هذا العمل يطال الفكر الإنساني بأكمله في منهجيته، ويعيد النظر في كثير من المعتقدات السائدة، فلسفية كانت أو علمية. إن اكتشاف اللاوعي من قبل فرويد، بنظر لاكان، هو شيء يختلف تماما عن المفاهيم السابقة التي برزت، فما اكتشفه فرويد هو حدث جديد انقلابي في المفاهيم البشرية، لم يسبقه إليه أحد.

فاللاوعي، خلافا لما تصوره علماء النفس سابقا، ليس مثل المخزن المحكم الإغلاق للنزوات البشرية، أو للغرائز التي أدى تقدم الإنسان إلى إهمالها وتجريدها من فعاليتها، أي بمثابة تاريخ الإنسانية القديمة، بهمجيتها وبدائيتها. لم يقل فرويد ذلك أبدا. يتحدى لاكان المحللين جميعا بأن يعودوا

إلى قراءة كتب فرويد من أولها إلى آخرها لكي يتأكدوا بأن اللاوعي هو بنية في حد ذاتها، لها تركيبة شبيهة بتركيبة اللغة (...)

لم يدرك المحللون منذ البداية المغزى الذي أعطاه فرويد للاوعي، رغم أنه حاول جاهدا في كتابه «تفسير الأحلام» البرهان على أن اللاوعي لغة. إن الحلم نص يقرأ : من النص الظاهر إلى النص الباطن عبر الأفكار نفسها، فهو بمثابة لغز لتركيبة صورية مترابطة فيما بينها بمعان وصور مختلفة، ولا يأتي التنسيق صدفة، وإنما يرضخ لقانون يتحكم في تكوينه، وهذا ما سماه فرويد بالعمليات الأولية : أي التكثيف والنقل. تتحكم هذه العمليات الأولية في الحلم منذ تكوينه حتى نصه الأخير. فالنقل يخدم مُغافلة المراقبة، ويستعمل التكثيف للتعبير المتعدد عن الرغبة المكبوتة. وبعد أن يخدع المراقب والمحاسب، عن طريق استبدال موضوع بموضوع آخر، يحصل النقل للمشاعر، لكي تعبر عما يخالجها بحرية أكثر.

انطلق لاَكَانْ من هذه النقطة كي يوضح منهجية جديدة في فهم اللاوعي، كلغة قائمة بحد ذاتها شبيهة باللغة التي نتداولها. وإن كان فرويد لم يعتمد على الألسنية التي استعان بها لاكان فلأنه سبق الألسنية في تنظيره. ولم تتيسر له الإمكانيات في زمانه. بقول لاكان إن أوجه الشبه عديدة ما بين العمليات الأولية، والقواعد التي تقوم عليها اللغة، لأن اللغة هي ظاهرة بنيوية، ترضخ لقواعد محددة نتحكم في استعمالها وتمثل البنية التي تقوم عليها أية لغة من اللغات : سواء في تصريف الأفعال، أو المضادات والمرادفات، أو في البلاغة : من كناية إلى استعارة، إلى مجاز، ومجاز مرسل، فاستعمال اللغة يرضخ لمثل هذه القوانين اللغوية، لان المعاني تتدفق ضمن قنوات محددة خاصة ومميزة للذات.

يقول لاَكَانْ أن صياغة الحلم وصياغة اللغة يعتمدان على نفس القاعدة والأسلوب : المجاز بمثابة التكثيف، الكناية أو المجاز المرسل بمثابة النقل، أي أن العمليات الأولية تكمن وراء اللاوعي، والبلاغة تشبه ما أسماه

فرويد بالعمليات الثانوية، يفصلها خط فاصل يقاوم كل محاولات الفهم لاختراقه، سيما استخراج المعنى الأخير أي المدلول الأخير. تتوالد المعاني تدريجيا نتيجة تناسق متواز ومدروس في انتقاء الكلمات التي تفترض بدورها استقصاء ما يخالفها، وما هو ضدها أو في ذكرى ما يتجانس معها ويؤدي المعنى المطلوب. فاللغة قد تعني غير ما تقوله إذا ما أخذناها بحذافيرها كلمة كلمة، وخير برهان على ذلك النكت التي تظهر لنا حقائق نستنتجها من خلال الكلمات والجُمل، ويعود ذلك إلى الكناية والمجاز لأن استقلالية التعبير تتعدى ما تقوله الكلمات لأنها مرتبطة أساسا بهذه العمليات.

عدنان حب الله، **التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان**، بتصرف، دار الفارابي، الطبعة الأولى، 2004، ص : 56_57.

V. نقد اللاوعي

1.V. هَل اللّاوعي أَنَا آخَر ؟

أَلَنْ (إميل أوغست شارتييه)

إن مذهب فرويد الذي ذاع صيته في كل مكان هو فن لخلق حيوان مُرعب بداخل كل إنسان، وذلك وفق علامات عادية مثل الأحلام. لقد اعتاد الناس دوما على تأويل أحلامهم، وهذا ما يفسر استعمالهم لرموز بسيطة. كان فرويد يستمتع بإظهار أن هذه الرموز البسيطة تخدعنا وأن رموزنا هي غير مباشرة بشكل أساسي. ينفلت النشاط الجنسي من الإرادة والتوقع، لذلك نكون أمام جرائم ترتكبها الذات. بإمكاننا أن نخمن انطلاقا من هذا المعطى أن هذا النوع من الغرائز هو موضوع تأويل غني. إن القول بأن الإنسان عاجز عن معرفة ذاته لأنها عالم مظلم هي فكرة تحتاج لإعادة النظر. لكن يجب أن نتجنب هنا العديد من الأخطاء الناتجة عن استعمال كلمة اللاوعي. وأخطر تلك الأخطاء هي الاعتقاد بأن اللاوعي هو أنا آخر، أنا له أحكامه المسبقة وأهواؤه وحيله، إنه مثل ملك شرير ومستشار شيطاني.

لكن يجب أن نقول خلافا لهذا الاعتقاد الخاطئ، أنه لا توجد أفكار فينا إلا تلك التي توجد عبر الذات الوحيدة أي الأنا. وهذه ملاحظة ذات طبيعة أخلاقية (...). إن اللاوعي هو احتقار للذات، هو عبادة للجسد. فالإنسان يخاف من لاوعيه، ففيه تقيم الخطيئة العظمى. فالأنا الأخر يقود خطاي، لأنه يعرفني بينما أنا لا أعرفه جيدا. والوراثة شبح يقوم بنفس الشيء : «هذا أبي يستيقظ، هذا من يقود خطاي، إنني مسحور به».

«لا شيء يُلزمني»، «لا شيء يحيرني»، «أنا أفكر إذن أنا موجود» : هذه الطريقة في التفكير هي بداية جديدة. أريد ما أفكر فيه ولا أكثر من ذلك. إن

أقدم قوة للعبادة الوثنية هي عبادة السلف، لكنها عبادة لم يطهرها الحب، «فما كان يستحق أن يكونه السلف، سأكونه أنا أيضا». هذه هي تقوى البُنوة. وبصفة عامة، ليس هناك ضرر في الاستعمال اليومي للاوعي، لكن إذا ضخمناه، نشرع في ارتكاب الخطأ، والأسوأ من ذلك أننا نشرع في ارتكاب الخطيئة.

Alain, *Eléments de philosophie*, Livre II, chap. 16, note 146, Gallimard, 1941n p. 155.

2.V. مخاطر فكرة اللاوعي

ألن (إميل أوغست شارتييه)

يواجه مصطلح اللاوعي عدة صعوبات، وأهم تلك الصعوبات تتمثل في فهم كيف استوحى علم النفس هذه الشخصية الأسطورية : شخصية اللاوعي. من الواضح أن آلية اللاوعي تنفلت من الوعي وتقدم له نتائج (مثل : أنا خائف) بدون أي تصور للأسباب. وبهذا المعنى فإن الطبيعة الإنسانية هي طبيعة لاواعية مثلها في ذلك مثل الغريزة الحيوانية، ولنفس الأسباب. لا نقول هنا أن الغريزة لاواعية. لماذا ؟ لأنه لا وجود لوعي حيواني تنتج الغريزة آثارها ونتائجها في مواجهته. فاللاوعي هو نتيجة لتضاد في الوعي. يُقال لإنسان قلق : «أنت خائف»، في الوقت الذي ليست لديه أية فكرة عن الخوف، فيشعر حينئذ في داخله بكائن آخر، وهذا الكائن الآخر هو نفسه، ويجب بالفعل هذا الكائن الآخر. إن الطبع هو لاواعي بهذا المعنى. يتأكد إنسان هل يرتعد ليعرف هل هو خائف، يقول «أجاكس» في الإلياذة لنفسه : «ها هما ساقاي تدفعاني، إنه إله يقود خطاي بكل تأكيد». إذا لم أكن أومن بإله مثل هذا فيجب في هذه الحالة أن أومن بوحش يختبئ بداخلي. يعتاد الإنسان في الواقع على امتلاك جسد وغرائز. لكن الطبيب النفسي يعارض هذا الوضع السعيد : فيخترع الوحش ويكشف عن وجوده لمن هو مسكون به».

Alain, *Eléments de philosophie*, Livre II, chap. 16, note 146, Gallimard, 1941n p. 155.

3.V. مأزق اللاوعي

جاك فان ريلاير

يرتكب المحللون النفسيون خطأ يتمثل في وضعهم كائنا بداخلنا، كائنا له غرائزه الخاصة به، ويطور نواياه الخاص به بدون علمنا، ويفكر في أموره معقدة وينجز عمليات رياضية. ومن جهة أخرى، يقود التصور الفرويدي إلى الحتمية، إلى تشاؤم في مجال العلاج وتدبير شؤون الذات. إن المحظوظين النادرين هم الذين يمكنهم وحدهم أن يؤدوا ثمن علاج فرويدي طويل المدى، ويستطيعون إدراك آليات اللاوعي ويتمكنون من التحرر من العمليات المبرمجة التي تتسبب في الاستلاب.

يقدم بعض الفرويديين اليوم صيغة «محرّرة» للتحليل النفسي، من أجل إخفاء كل ما يجعل نقد التحليل النفسي مشروعا. ونجد هذه المحاولة لدى مؤرخة التحليل النفسي «إليزابيت رودنيسكو»، Elisabeth Roudinesco، التي كتبت ما يلي : «الذات الفرويدية ذات حرة. تتمتع بالعقل. لكن عقلها يتأرجح بداخلها (...). ولقد جعل فرويد من النشاط الجنسي ومن اللاوعي أساس التجربة الذاتية وأساس الحرية».

Jacques Van Rillaer, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions les Arènes, 2005, p. 418 - 419.

4.V. هل اللاوعي هو نتاج الكبت ؟

جُويل بروست

لم يخرج مفهوم اللاوعي سالما من عملية المراجعة. فالتمثل حسب فرويد يصبح تمثلا لاواعيا لأن الذات تطرده من وعيها. وبتدخل الكبت لأن إشباع دافع جنسي مرتبط بالتمثل المعني قد أحدث انزعاجا بدخوله في صراع مع أهداف أخرى. اللاوعي الفرويدي هو إذن نتيجة ديناميكية لعمل الدوافع

الغريزية. لكن ما تخبرنا به علوم الجهاز العصبي هو أن النشاط الذهني هو أساسا نشاط لاواعي. وبعبارات أخرى، فإن معظم العمليات الذهنية التي ينجزها دماغنا لاستخراج المعلومة وتخزينها وإعادة استعمالها لاحقا لا يمكن الحصول عليها بالاستبطان. فالإدراك والفعل يتطلبان أن تُنجز عمليات لا تعرف عنها الذات شيئا. ولهذا السبب تسمى هذه العمليات «ما قبل شخصية». وإحدى النتائج المدهشة المتعلقة بالبحث في مجال الأفعال البشرية البرهنة على أن الأفعال البشرية الإرادية العادية جدا يتم إطلاقها من اللاوعي قبل أن تصبح موضوع «قرار واعي». برهن جراح الأعصاب الأمريكي «بنيامين ليبيت» Benjamin Libet، على أنه أثناء القيام بفعل بسيط مثل ثَنْي الأصبع إراديا، يعي صاحب الأصبع إرادته قبل تقلص العضلة بمائتين جزء من الألف من الثانية، ولكنه لا يعي ذلك إلا بعد أن يكون الدماغ قد أطلق عملية التخطيط للفعل بثلاثمائة وخمسين جزء من الألف من الثانية. فالدماغ يهيئ الفعل حتى قبل أن تعي الذات إرادتها في التنفيذ. ولذلك لا يمكن أن يكون للوعي إلا مساهمة متأخرة جدا عن الفعل المراد تنفيذه : يمكن للوعي أن يتدخل لإيقاف الفعل المراد تنفيذه ـ فلا زالت هناك 200 جزء من الألف من الثانية قبل انقباض العضلة ـ لكنه لا يتدخل في بداية انطلاقه. إن السؤال الذي كان يطرحه فرويد هو فهم لماذا يجب إبعاد التمثلات عن الوعي، لكن السؤال الذي يطرح اليوم هو بالأحرى معرفة لماذا تصير بعض التمثلات واعية ؟

ما الذي نعيه لما نعي ما نراه وما نفعله ؟ ليس الوعي مرآة مخلصة تُقدم صورة كاملة وشاملة ودقيقة عما «يعرفُه» الدماغ عن محيطه أو عن حالاته، كما أن الوعي لا يكون دوما موحّدًا، فمكونات شفاهية وغير شفاهية (بصرية، عاطفية،...) تنقل أحيانا مضامين غير منسجمة فيما بينها، وهذه النتائج تفسر بما يسمى «بالهندسة الوظيفية للدماغ، أي تفسر بعمل العديد من الأنظمة بالتوازي من أجل استخراج المعلومة : كل نظام منها له امتياز الوصول لأنواع من الأجوبة الخاصة».

Joelle Proust, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions les Arènes, 2005, p. 653 - 654.

5.V. من هم سكان اللاوعي؟

جاك فان ريلاير

أكد فرويد باستمرار على أن العمق الذي يتحدث عنه لا علاقة له بالتصورات الصوفية أو الرومانسية عن اللاوعي، مثل تصورات فون هارتمان أو يونغ (...) لكن من هم سكان اللاوعي الذين يتسببون في اضطرابات ذهنية ؟ إنهم حسب فرويد الذكريات المكبوتة، ودلالات رمزية مجهولة، ألعاب لغوية وقوى متصارعة.

استعمل فرويد في بداية عمله منهج «بنيديكت» و«بروير» المتمثل في العثور على الأحداث المختبئة أو المنسية التي تعتبر أصل الاضطرابات. ويعتقد أن الاضطرابات الهستيرية والاستحواذ (أو الهَجاس) والإكراهات تُفسر دوما بدون أي استثناء بكبت الذكريات المتعلقة بالرغبات الجنسية المعاشة في الطفولة الأولى. في سنة 1897 تخلى فرويد عن هذه النظرية التي عرفت «بنظرية الإغراء» وتبنى نظرية «الاستيهام» (أو الهَوام)، واعتبر أن الذكريات المكبوتة الناتجة عن تجارب جنسية ليست إلا مشاهد متخيلة تسببت فيها أنشطة شبقية ذاتية. بالنسبة لأغلبية الفرويديين، يبدأ التحليل النفسي في هذه اللحظة بالتحديد : أي لما لا يكون فرويد بصدد عن البحث عن أحداث من الماضي، وإنما يكون بصدد البحث عن ذكريات واستيهامات. لكن فرويد استغل النظريتين حتى وفاته. لقد استمر في البحث عن أحداث من الطفولة، كما يتضح ذلك من خلال عرضه لحالات محددة : مثل حالة دورا أو حالة «رجل الذئاب». وفي سنة 1937، كتب في آخر نص خصصه لهذه المسألة : «الأعراض هي بدائل للنسيان ويجب أن يُقاد الخاضع للتحليل إلى أن يتذكر من جديد شيئا ما عاشه وكبته (...) وتكمن مهمة المحلل في توقع أو بناء ما تم نسيانه انطلاقا من إشارات وفلتات من النسيان».

تعتبر الدلالات الرمزية عنصرا أساسيا آخر، وعلى سبيل المثال : التدخين. حسب فرويد، يعتبر الإدمان على التدخين، الذي حاول هو شخصيا مرارا التخلص منه، معوضا لاواعيا عن الاستمناء. ويجب التأكيد على أن فرويد، وبالرغم من معرفته بالدلالة «العميقة» لهذا التعلق بالتدخين، لم يتمكن من التخلص منه، فبالنسبة للمحلل النفسي، ليست عبودية التدخين (خلافا لما يعتقده عالم النفس) مسألة جهود تتجه لتحقيق هدف محدد، ولكنها فقط مسألة إشارات يجب الكشف عن محتواها. لما فسر «بيتر غاي، Peter Gay، الذي ألف سيرة فرويد التي يمدحه فيها، السبب الذي جعل فرويد يعجز عن إيقاف التدخين، فإنه يقدم تحليلا سطحيا. يقول بيتر غاي : «إن المتعة التي كان يحققها التدخين لفرويد، أو بالأحرى الحاجة المتأصلة لذلك، كانت متعة لا تقاوم/ لأن كل سيكار كان يشكلُ عاملا مُهيّجا (...) ونعرف أنه اعترف بتعلقه بالتدخين، ويعتبر فعل التدخين معوضا عن هذه الحاجة البدائية التي هي الاستمناء. ومن الواضح أن تحليله النفسي الذاتي لم ينجح».

حسب المحللة النفسية «أوديل لوزورن»، Odile Lesourne : كان فرويد يدخن «من أجل التحكم في الموت، من أجل ألا تأخذه الموت على حين غرة، ولكي تستقر فيه ببطء منظم، حتى يسيطر عليها ويراقب نتائجها». وأوّل المحلل النفسي «فيليب غريمبيرت»، Philippe Grimbert ، مؤخرا التدخين باعتباره «دفاعا ضد قلق الخصي» (...)

Jacques Van Rillaer, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions les Arènes, 2005, p. 228 - 230.

6.V. من يملك مفاتيح اللاوعي؟

مبكال بورش جاكوبسون

لا وجود للتحليل النفسي، لأن الأمر يتعلق بركام لعناصر لا رابط فيما بينها، بهدفٍ غير قار، في حركةٍ دائمة. ما هو المشترك بين كل من فرويد Freud ورانك Rank وفرينزي Ferenczi ورايش Reich وميلاني كلاين Melanie Klein وكارين هورني Karen Horney وإمر هيرمان Imre Hermann وونيكوت Winnicot وبيون Bion وبولبي Boulby وكوهوت Kohut ولاكان Lacan ولابلانش Laplanche وأندري غرين André Green وسلافوج زيزيك Slavoj Zizik وجوليا كريستيفا Julia Kristiva وجولييت ميتشيل Juliet Mitchell ؟

بل ما هو المشترك ما بين نظرية الهستيريا التي صاغها فرويد سنة 1895، ونظرية الإغراء التي صاغها سنة 1896 ـ 1897، ونظرية الجنسانية التي صاغها سنة 1900، والنظرية الثانية حول الدوافع الغريزية التي صاغها سنة 1914، والمَوقعية الثانية والنظرية الثالثة حول الدوافع الغريزية المصاغة سنة 1920 ؟ يكفي الاطلاع على أي تعريف من تعريفات معجم التحليل النفسي الذي ألفه لابلانش وبونتاليس ليتبين لنا أن التحليل النفسي كان منذ البداية نظرية تتجدد باستمرار، نظرية قابلة لإتباع منعرجات غير متوقعة.

والشيء الوحيد الذي ظل قارا هو التأكيد على اللاوعي في ارتباط مع زعم المحللين النفسيين بقدرتهم على استقبال رسائله. والأمران متلازمان. فاللاوعي من حيث التعريف لا يقدم نفسه أبدا للوعي، ولا نستطيع، في هذه الحالة، معرفته إلا إذا قمنا «بترجمته» إلى الوعي كما يقول فرويد. ولكن كيف تتم هذه «الترجمة» ؟ إنها تتم فقط عن طريق تأويلات المحلل النفسي الذي يقول بوجود شيء يحتاج للترجمة في الوقت الذي لا يعرف المعنيون الأساسيون عن هذا الأمر شيئا. يمكن للمحلل النفسي، كنتيجة لذلك،

تقويل اللاوعي ما يريد هو أن يقوله، دون أن يخشى تكذيبه بما أن اللاوعي لا يتكلم أبدا إلا عبره (وبما أن شهادة المريض تعتبر ناقصة وتترك جانبا لأنها تعتبر «مُقاوِمَة»)، هذا هو منطلق مختلف الصراعات المتعلقة بالتأويل التي ظهرت مباشرة ما بين أوائل المحللين النفسيين : في الحالة التي يقول فيها فرويد «أوديب» يقول آخرون «إلكترا»، وفي الحالة التي يقول فيها «الليبيدو»، يقول آخرون «الدافع العدواني» أو «الإحساس بالنقص الفيزيولوجي والوظيفي والنفسي»، وفي الحالة التي يقول فيها فرويد «عقدة الأب» يقول آخرون «عقدة الأم» أو «صدمة الميلاد»...

فكيف سنعرف من يقول القول الصائب ؟ من يُخوّل له أن يترجمَ اللاوعي ؟ لا نملك أي شيء نعتمد عليه للاختيار ما بين التأويلات المختلفة. والطريقة الوحيدة للحسم في هذا النقاش كانت هي السلطة التي اتخذت طابعا مؤسساتيا من خلال التحليل التعليمي. فالحقيقي في التحليل النفسي هو ما تعتبره المدرسة التحليلية حقيقيا في لحظة معينة. وهذا وضعٌ غيرُ مُرضٍ من الناحية الابستمولوجية. لقد أكد فلاسفة العلوم بما فيه الكفاية على انعدام تماسك نظريات التحليل النفسي وعدم امتلاكها الحجة المقنعة على صوابها لأنها «غير قابلة للتفنيد». إن التحليل النفسي غير قابل للتكذيب لأنه يمكنه أن يقول الشيء ونقيضة معتمدا على «شهادة» اللاوعي الذي هو على استعداد دائم للخضوع لمتطلبات اللحظة.

Mikkel Borch Jacobsen, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions les Arènes, 2005, p. 180 - 181.

7.V. دلالة مقاومة اللاوعي في التحليل النفسي

جاك فان ريلاير

قدم فرويد عمله باعتباره تتويجا للثورات الثقافية الممتدة من كوبرنيك حتى شخصه مرورا بداروين. ويقول أنه صاحب أكبر ثالث هجوم ضد جنون العظمة لدى البشر. شكلت برهنة كوبنرنيك على أن الأرض ليس مركز الكون الجرح الأول أو الإهانة الأولى. وهي إهانة كوسمولوجية للبشر، وشكل وضع الإنسان داخل السلالة الحيوانية من طرف داروين إهانة بيولوجية، أما إهانته هو للبشر فكانت الأقسى من بين «هذه الجراح النرجسية الثلاثة» وهي «إهانة نفسية».

إن «النفور» من التحليل النفسي و«مقاومته» ينتجان أساسا عن اكتشاف أن «الأنا ليس سيدا في بيته»، وأن «الدوافع الجنسية في الإنسان لا يمكن التحكم فيها وأن السيرورات النفسية هي في حد ذاتها لاواعية». بينت العديد من المعطيات أن فرويد ليس هو مكتشف اللاوعي، فمنذ حوالي 300 سنة، أقر العديد من الفلاسفة وعلماء النفس بأن سلوكاتنا تشارك في كل لحظة في سيرورات لا نفكر فيها ونجهل وجودها. إن بعض «مقاومات» اللاوعي الفرويدي مبررة وقد قال الفيليزف «ألن» (Alain) في هذا الصدد : «ليست هناك سلبيات تمنعنا من استعمال» كلمة «اللاوعي» يوميا، ولكن هناك أخطاء ينبغي تجنبها وأخطرها الاعتقاد بأن اللاوعي هو أنا آخر، أنا له أحكامه القَبْلية وأهواؤه وحيله»، وهذا هو بالتحديد خطأ فرويد.

Jacques Van Rillaer, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions les Arènes, 2005, p. 415 - 416.

8.V. استحالة المعرفة العلمية للاوعي

ميشال أونفري

سجل لودفيغ بنسوانجر (Ludwig Binswanger) في يومياته الحدث التالي : «في إحدى المقابلات استعملتُ إحدى صيغ فرويد في جلسة الأربعاء وهي الصيغة التالية : «اللاوعي ميتافيزيقي، ونعن نعتبره بكل بساطة واقعيا». وتدل هذه الجملة على أن فرويد قد تراجع عن موقفه فيما يخص هذه المسألة المتعلقة باللاوعي. لقد قال بأننا نتصرف كما لو أن اللاوعي كان واقعا تكوّن على شاكلة صورة الوعي. ولكنه، كباحث علمي حقيقي، لم يقل شيئا فيما يخص طبيعة اللاوعي، لأننا لا نعرف عنه شيئا يقينيا، أو بالأحرى لا يمكننا أن نستدل عليه إلا انطلاقا من الوعي. ويؤكد أنه ـ مثل كانط الذي سلّم بوجود الشيء في ذاته وراء الظاهر ـ يسلّم بوجود اللاوعي وراء الوعي الذي تصله خبراتنا، خلافا للاوعي الذي لا يمكن أبدا أن يكون موضوع خبرة مباشرة» (...)

لقد كشف فرويد ـ الذي رغب في استدعاء الشيء في ذاته الكانطي لتعريف اللاوعي وصياغته كمفهوم ـ عن المشكل الذي يواجهه : فهذا المفهوم المعماري في البناء التحليلي النفسي صار من المتعذر فهمه فهما علميا. فالعلم يتطلب استعمال منهج تجريبي يفترض اللجوء للملاحظة، أي استعمال الحواس الخمس وكل مكونات الجسد والدماغ والذكاء، واستعمال حاسة البصر والملاحظة والمقارنة وتكرار التجارب والاستمرار في الملاحظة والاستنتاج وتجريب فرضيات وصياغة منظومات التحقق وإجراء أبحاث طويلة ومتأنية وصبورة في المختبرات أو في العيادات الاستشفائية، والعمل ضمن مجموعات ومقارنة النتائج...

وعلى العكس من ذلك كله، فإن مجال الشيء في ذاته، يكتفي بالتلفظ بكلمات تتطلب الإنجاز، وهو ما تشرحه نظرية اللساني أوستين. ومن خلال

هذه العملية السحرية الغريبة والتي يخلقُ بمقتضاها قولٌ ما ما يعلنُ عنه. وبتعبير آخر، يخلق فرويد اللاوعي بمجرد تلفظه به. هذا الخلق السحري لعالَم من خلال التلفظ باسمه فقط هو ما يميز منهج فرويد : بمجرد ما يسمي فرويد الشيءَ، يصيرُ الشيءُ موجودا.

لن نعثر على تعريف واضح للاوعي في الأعمال الكاملة لفرويد، التي تقدر بستة آلاف صفحة (...) وإذا كان فهم التحليل النفسي لا يتم إلا عبر مفاهيمه الكبرى، فما هو الحل بما أن تعريف اللاوعي ليس ممكنا ولا قابلا لأن يكون موضوعَ تفكير ؟ لنفتح معجم التحليل النفسي لمؤلفيْه لابلانش وبونتاليس ولنقرأ ما كتباه عن اللاوعي : «إذا كان من الضروري التعبير عن الاكتشاف الفرويدي في كلمة واحدة فإن تلك الكلمة ستكون بدون منازع هي : اللاوعي». لقد اتضح الأمر : يشكل اللاوعي حجر الزاوية في التحليل النفسي، غير أن هذا المفهوم لا يمكننا إثباته ولا تسميته ولا تدقيقه ولا تعريفه تعريفا واضحا ومتميزا. بل إن كتاب «تفسير الأحلام» يُعللُ نظريا هذه الاستحالة، فلقد جاء فيه أن اللاوعي يشير إلى المكبوتات ويعرفها، وأن المكبوتات غير مرئية بطبيعتها.

Michel Onfray : *Le crépuscule d'une idole*, L'affabulation freudienne, Editions Grasset et Fasquelle, 2010, p. 310 - 315.

9.V. من الذي اكتشف اللاوعي ؟

جاك فان ريلاير

على عكس الاعتقاد السائد، لم يكن فرويد هو مكتشف اللاوعي. ففي سنة 1890، حيث لم يكن أحد يتحدث بعد عن التحليل النفسي، قام وليم جيمس (William James) في كتابه الضخم والهام «دراسة في علم النفس» (1400 صفحة) بفحص كيفية استعمال كلمتي اللاوعي وما قبل الوعي من طرف كل من شوبنهاور (Schopenhauer) وفون هارتمان (Von Hartmann) وجانيه (Janet)

وبينيه (Binet) وآخرين. ولقد كتب هو نفسه الشيء الكثير عن تحول السلوكات الواعية والعادات اللاواعية. وكان يقر تمام الإقرار بوجود سيرورات لاواعية، ولكنه كان يدين منذ ذلك الوقت تفسيرات اللاوعي القابلة للاستعمال في جميع الأحوال. وكتب في هذا الصدد : «التمييز بين الحالات اللاواعية والحالات الواعية في الحياة النفسية هو الوسيلة الناجعة على الإطلاق لتبرير كل ما نريد تبريره في مجال علم النفس». ولم يفقد هذا التحذير للأسف راهنيته.

إن كلمة «اللاوعي» قد استُعملت منذ أكثر من مائتين وخمسين سنة، ولكننا نعثر على إثباتات تدل على وجود سيرورات غير واعية قبل ذلك عند الفلاسفة والمتصوفة القدماء. لقد عرف هذا المفهوم منعطفا حاسما مع ليبنتز (Leibniz) وتطور في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وحوالي سنة 1880 كان يعتبر مفهوما عاديا بالنسبة للعديد من الفلاسفة ومن الأطباء النفسيين، مثل بينيدكت (Benedikt) في فيينا وبرنهايم (Bernheim) أو شاركو (Charcot) في فرنسا. وبالنسبة لعلماء النفس الأوائل. وتمت ترجمة كتاب فون هارتمان «فلسفة اللاوعي» (الصادر سنة 1869، المكون من 678 صفحة) إلى الفرنسية سنة 1877، وإلى الإنجليزية سنة 1884، وتمت قراءته على مستوى واسع جدا في نهاية القرن التاسع عشر.

إن العامل التاريخي الأساسي الذي أدى إلى الصياغة المجردة (أي المفاهيمية) للتعارض ما بين الوعي واللاوعي هو بدون شك تطور الوعي بالذات، الذي تم منذ عصر النهضة. فحوالي سنة 1600 أصبح الأوروبيون واعين بأنفسهم أكثر فأكثر باعتبارهم أشخاصا. وكان عليهم، مع ذلك، الاعتراف بأن الأنا، التي تثبت نفسها، وتلاحظ نفسها وتحلل نفسها ليست لها كامل السيادة : فالأنا ليست مستقلة. يلازم الوعي بالأنا سيرورات ذهنية تتجاوزه مثل الأهواء التي تسيطر عليه أحيانا، الذكريات والأفكار التي توجهه بدون علمه.

وابتداء من القرن السابع عشر، طوّر فلاسفة وكتاب أخلاقيون خانات تأويل البواعث الخفية أو اللاواعية. وأحد رواد هذا التيار هو لاروشفوكو (La Rochefoucauld) الذي يفتتح مصنّفه الشهير «الأقوال المأثورة» بهذا التأمل :

«ليست فضائنا في أغلب الأحيان إلا رذائل مقنعة». وكان الموضوع الرئيس لأعماله هو الكشف عن الحسابات المتمركزة حول الأنا لمجموع السلوكات البشرية.

لقد اعتقد آرثور شوبنهاور وكارل ماركس وفريدريك نيتشه التوصل، كل واحد منهم بطريقته الخاصة، لوضع آلية رئيسية تفسر عددا لا محدودا من السلوكات البشرية، بل تفسر كل فعل إنساني. فبالنسبة لشوبنهاور، يشكل الواقع الجنسي الصيغة الأساسية للكائن البشري، كما أن إشباع هذا الدافع الجنسي هو الهدف النهائي لكل الجهود الإنسانية. وبالنسبة لنيتشه، تعتبر إرادة القوة هي الباعث النهائي لكائن يرتكب الأخطاء بدون توقف، ويوقع الآخرين في الخطأ (...)

لقد انضم فرويد إلى تراث التأويلات الكاشفة للأقنعة. ومثله مثل الذين سبقوه في خذا المجال، يؤكد أننا نخطئ باستمرار فيما يخص بواعثنا الحقيقية، ويعتقد مثل لاروشفوكو أن الإنسان كائن أناني ونرجسي بشكل عميق، ويعتقد مثل شوبنهاور أن الدافع الجنسي هو الباعث السري لكل الأنشطة البشرية بما في ذلك الأنشطة الأكثر سُموّا، ويؤكد مثل نيتشه على أن الإنسان يخفي عن نفسه البواعث الحقيقية لأفعاله.

لقد اهتم علم النفس، منذ بداية تطوره في القرن التاسع عشر بالسيرورات اللاواعية. وبالفعل، فإن فكرة تكوين علم خاص بالحياة النفسية ذاتها تفترض وجود سيرورات قابلة للفهم قليلا أو كثيرا عن طريق الحدس أو التفكير، إذا فهمنا بسهولة آليات وأسباب جميع السلوكات، لن تكون هناك حاجة لوجود باحثين في مجال علم النفس. إن معظم سلوكاتنا، حسب علماء النفس تتم وفق عمليات مبرمجة، تخضع لسيرورات لاواعية. ومع ذلك، فإن هذا «العمق» الذي يتحكم في السلوك ليست له علاقة ذات أهمية بما يقوله فرويد. فهذا الأخير يرى اللاوعي ككائن شبيه بواقع نفسي يسكن بداخلنا.

Jacques Van Rillaer, Le livre noir de la psychanalyse, éditions les Arènes, 2005, p.217 - 219.

10.V. البرهان الخاطئ على وجود اللاوعي

ميشال بيتبول

يعتقد فرويد أنه أتى بالحجة على وجود اللاوعي، وعلى وجود المستويات المكونة لتصوره الأول عن الجهاز النفسي (وصفه المكاني الأول للجهاز النفسي أو نظريته الأولى). وحتى وإن غضضنا الطرف عن الانتقادات الموجهة لمدى علمية التحليل النفسي، والمرتكزة على معيار التمييز والفصل بين ما هو علمي وما هو غير علمي، كما يقول بذلك كارل بوبر، وحتى وإن قبلنا أن نطبق على التحليل النفسي تطبيقا تاما كل المعايير التي تتحكم وتنظم مجال العلوم، فإنه بإمكاننا الإدلاء بشكوك جدية حول صلاحية «حجة وجود اللاوعي» التي يقدمها فرويد.

يمكن القول بكل دقة وصرامة أنه لا انسجام التفكير ولا فعالية الممارسة ـ الذين تم الحصول عليهما انطلاقا من فرضية وجود حقيقة معينة ـ يشكلان حجة علمية لا ريب فيها. وحدها البرهنة على أن هذه الحقيقة تشكل التفسير الوحيد الممكن لمجموعة من الظواهر الأكيدة ستقبل من طرف الجميع باعتبارها حجة. ويُطلق على هذا الإجراء المثالي : الاستدلال المؤدي نحو التفسير الوحيد. لكن المشكل الذي يطرح هنا هو وجود منافسين جدد، مثل فيزيولوجيا الجهاز العصبي، يواجهون الأطروحات الفرويدية على أرضية التفسير الخارجي الميكانيكي العلمي للسلوك البشري. إن الوصف المكاني للجهاز النفسي في التحليل النفسي ليس هو التفسير الوحيد الموجود والقابل للاستعمال، كما أن التساؤل عن مدى أفضلية هذا التفسير عن غيره من التفسيرات، ووفق أي سلم قيم يمكن اعتباره الأفضل، هو سؤال يظل مطروحا.

Michel Bitbol, *Physique et philosophie de l'esprit*, Flammarion, Paris, 2000, p. 132.

V.11. اللاوعي والحقيقة

جاك فان ريلاير

إن التصور الفرويدي للعمق يقود إلى ارتكاب خطأ، إنه يقود إلى تحويل استعدادات وآليات معرفية وعاطفية إلى جواهر. لا يتحدث فرويد فقط عن سيرورات لاواعية، ولكنه يتحدث عن كائن ـ هو اللاوعي ـ يختبئ بداخلنا ويستعملنا كما لو لم نكن سوى كراكيز. إنه يؤكد على وجود «آخر» بداخلنا. وهو ما يترجمه لاكان بقوله «داخل اللاوعي، والذي ليس عميقا بقدر ما يتعذر على التفكير العميق بلوغه يحدث الكلام : ذات داخل الذات، تتعالى على الذات». بالنسبة للمحلل النفسي، لسنا فقط مجرد أشخاص يعانون من مختلف التأثيرات دون علمهم، بل إن «حقيقتنا» مكتوبة «في مكان آخر»، في «عالم آخر». وإذا لم نحظ بتعلم التحليل النفسي لمدة طويلة، فإننا سنمشي دوما متقدمين في الظلام. إننا مُستلبون بشكل دائم. وحتى أولائك الذين حالفهم الحظ وعاشوا مدة طويلة مع فرويد وفي علاقة به أو استفادوا من تحليله لهم يمكنهم أن يظلوا مخطئين، أو يقعون في الخطأ من جديد : أدلر، ستيكل (Wilhem Stekel)، يونغ، رانك، فرينزي، رايش، وآخرون... كل هؤلاء الأتباع اكتشفوا في الأخير أن معنى «عمق النفس» بالنسبة لهم يختلف عن معناه عند فرويد.

إن العمق الفرويدي يوضح الأخطاء التي حذر وليم جيمس من الوقوع فيها منذ أكثر من قرن : يتعلق الأمر بقبعة ساحر يستخرجها المحلل النفسي متى يشاء. فهل فعل التدخين مثلا يدل على الاستمناء الرمزي ؟ أم يدل على محاولة التحكم في الموت ؟ أم هو دفاع ضد الخوف من الخَصْي ؟ سيتوقف اختيار المحلل النفسي لتأويله على نظريته واختياره، وليس على وقائع دقيقة ومدروسة دراسة عميقة.

Jacques Van Rillaer, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions les Arènes, 2005, p. 224 - 225.

12.V. بيير جانيه : المكتشف الحقيقي للاوعي

بيير كوترو

بدأ العهد العلمي بالفعل مع أعمال بيير جانيه (1859 ـ 1947) الذي وصف في كتابه «التلقائية النفسية» (Automatisme psychologique) الفكر اللاوعي التلقائي ودور الذكريات الصّادمة نفسيا والتي توجد ما قبل الوعي، وأهمية عودة هذه الذكريات عبر حكايات المُعالجين على شكل «أفكار ثابتة».

كان جانيه يعتقد أن جزءا ضئيلا من العلاقات ما بين الفرد والمحيط يتم على مستوى الوعي. وفي ظروف عادية، يُدمج الأشخاص بطريقة آلية المعلومات الجديدة ويتصرفون دون أن يعيروا اهتماما لما يحدث. وتعتبر العديد من التجارب والقيم والعادات والكفاءات الفطرية والمكتسبة تلقائية، وتُدمج في الشخصية.

يظهر تفكك الشخصية لما لا تستطيع تجارب جديدة أو مرعبة بشكل خاص الاندماج في الخطاطات الموجودة. تنفصل الشخصية المسيطرة أو الواعية عن الأفكار الثابتة والتي هي أفكار توجد في ما قبل الوعي. وسوف تترجم هذه الأفكار في أعراض جسدية وفي سلوكات تبدو ظاهريا شاذة.

سيتبنى فروي بعض أفكار جانيه دون أن يذكره وهو الأمر الذي سيعترف به سنة 1915، وبالفعل، فإن كتاب جانيه «التلقائية النفسية» صدر قبل صدور كتاب فرويد وبروير «دراسات في الهستريا» بست سنوات، وهو الكتاب الذي سيشير إلى ميلاد التحليل النفسي.

لاحظ جانيه سنة 1919 أن أعمال فرويد وبروير يمكن أن تمثل تأكيدا جزئيا لأعماله، ويكمن الفرق بين أعماله وأعمالهما في ما يلي : إذا كان قد اعترف بوجود علاقات ما بين النشاط الجنسي وبعض الأعراض ـ ويقدر نسبة هذه العلاقات في ثلاثة أرباع الحالات ـ فإن دورها لم يتم

تحدديه بعد. ويؤاخذ على فرويد في كتابه «العلاجات النفسية» (Les médications psychologiques) الصادر سنة 1919 كونه يوحي للمُعَالجين بنظرياته الخاصة حول النشاط الجنسي. بالنسبة لجانيه، يجب توقع وجود ذكريات صادمة نفسيا غير التجارب الجنسية المبكرة والتي تساهم في الاضطرابات النفسية، ويرتكز في هذا الشأن على عدة ملاحظات عيادية دقيقة.

كما يثير الدور الممكن للإشراط البافلوفي في المحافظة غير المحددة لتجارب الخوف، وهو الرأي الذي يعتبر حديثا جدا بالنسبة لعصره. لِنُذكِّر بأن فرويد، الذي درس على الأعصاب وكان معاصرا لبافلوف، لم يذكر أعمال العالم الفسيولوجي الروسي والحاصل على جائزة نوبل إلا مرة واحدة، في كتابه «الكلمة الملتبسة الساخرة وعلاقتها باللاوعي» (Le mot d'esprit et ses rapports avec l'inconscient)، حيث يقيم توازيا ما بين نتائج تأثير الانتظار على الإفراز المعدي وعلى الضحك.

يدافع جانيه أيضا على الفرضية القائلة بأم حالة التفكك الذهني التي تعقب تجربة صادمة نفسيا سوف تعمل على استقرار أفكار ثابتة توجد في ما قبل الوعي. وسوف تُترجم هذه الأفكار عبر أنشطة تلقائية غريبة. إن جانيه قريب جدا من التصورات الحالية حول الإرهاق الذي يسبق الصدمة النفسية. كما أن أعماله تُذكر أكثر فأكثر ويتم التعليق عليها بكثرة في أمريكا. وترتكز التصورات الحالية على اللاوعي المعرفي على نماذج الذاكرة الضمنية وعلى أفكار جانيه المتعلقة بها هو تلقائي.

Jean Cottraux, *Le livre noir de la psychanalyse*, éditions des Areines, 2005, p. 802 - 805.

13.V. اللاوعي كمعمل

جيل دولوز وفيليكس كاتاري

لم يتحرر فرويد نفسه من هذه النظرية الضيقة عن الأنا. وما منعه من ذلك هو صيغته الثلاثية الأوديبية العصابية : أبي ـ أمي ـ أما. ألم تَقُدْ «الامبريالية التحليلية لعقدة أوديب» فرويد إلى ضمان سلطته من خلال العثور من جديد على المفهوم المزعج الذي هو مفهوم الانطواء المطبق على انفصام الشخصية. يجب، في آخر المطاف، عدم إخفاء أي شيء، ففرويد لا يحب المصابين بانفصام الشخصية، لا يحب مقاومتهم لإخضاعهم لعقدة أوديب، إنه يميل بالأحرى إلى معاملتهم كدواب : إنهم يتعاملون مع الكلمات كأشياء، إنهم فاقدين للعواطف، نرجسيين منقطعين عن الواقع، عاجزين عن التحويل (بالمعنى الفرويدي). إنهم يشبهون الفلاسفة : و«هذا تشابه غير مرغوب فيه». لقد تم التساؤل في معظم الأحيان عن كيفية إدراك العلاقة ما بين الدوافع الغريزية والأعراض، وما بين الرمز والمرموز إليه إدراكا تحليليا ؟ هل هي علاقة سببية أم علاقة فهم وتضمن أم علاقة تعبير ؟ لقد طرح السؤال بصيغة جد نظرية، لأنه بمجرد ما نوضع داخل «أوديب»، بمجرد ما نقارن «بأوديب» ينتهي كل شيء، ويتم إلغاء العلاقة الأصيلة الوحيدة التي كانت هي الإنتاج. إن أكبر اكتشاف للتحليل النفسي كان هو اكتشاف «الإنتاج الرّاغب»، اكتشاف «آثار ومنتوجات اللاوعي». ولكن هذا الاكتشاف تم حجبه بسرعة مع أوديب من خلال مثالية جديدة : لقد استبدل اللاوعي كمعمل بمسرح قديم، واستبدلت وحدات إنتاج اللاوعي بالتمثل، واستبدل اللاوعي المنتج بلاوعي جُرد من كل شيء ما عدا التعبير عن نفسه (الأسطورة، المأساة، الحلم...).

Gilles Deleuze et Felix Guattari, *Capitalisme et schizophrénie*, L'anti -Oedipe, Minuit, 1972, p. 30 - 31.

أقوال فلسفية

1. «كان ينبغي أن أحاكم بقسوة من طرف جميع الأطباء بما أنني لا أمشي على يدي ورجلي خضوعا للاوعي ولما قبل الوعي ولعتبة الوعي».

(ألن، إميل أوغست شارتييه)
Alain, *Histoire de mes pensées*, p. 205.

2. «يرفض التحليل النفسي الوجودي مسلمة اللاوعي، ذلك أن الواقعة النفسية بالنسبة له تمتلك نفس قدرة الوعي على الامتداد والتوسع».

(جون بول سارتر)
Sartre, *L'Etre et le néant*, p. 658.

3. «كيف ستتعرف الرقابة على الدوافع الغريزية المكبوتة دون أن تعي أنها تتعرف عليها ؟ هل يمكن أن نتصور وجود معرفة تجهل ذاتها؟»

(جون بول سارتر)
Sartre, *L'Etres et le néant*, chap. II.

4. «إن الفكرة القائلة بوجود ظواهر نفسية لاواعية هي فكرة متناقضة، إن فرضية اللاوعي هي فرضية عبثية ومتناقضة»

(إيلي رابيه)
Elie Rabier, *Leçons de philosophie*, I, p. 67.

5. «إن ما لا يعتبر وعيا، أو ما لم يعد وعيا لا يتضمن اللاوعي، إلا أنه يتدخل مع ذلك في الدينامية النفسية»

(فرانسيس بول ومارسيل بود)
Francis Boll et Marcel Baud, *La personnalité, sa structure, son comportement*, p. 88.

6. «إذا كان العلاج التحليلي يعمل انطلاقا من تحويل اللاوعي إلى وعي، فإن ذلك يعود لكون الوعي هو أكبر من مجرد خاصية مضافة لا تغير ماهية البناء النفسي. من الخطأ القول بأن العلاج ينقل «الذكرى» المرضية من اللاوعي إلى الوعي، إن العلاج يقود إلى تكوين «ذكرى» في المكان الذي كان يوجد فيه شيء ما يقمع الوعي، شيء ما كان قد نتج عن الماضي ولكنه كان عبارة عن ذكرى توجد في الأعماق والذي كان يقمع بدون شك الوعي لأنه كان عاجزا عن تكوين ذكرى باستعمال هذه المادة المنتمية للذاكرة العاطفية والتي لها طبيعة نفسية».

(بول ريكور)
Paul Ricœur, *le volontaire et l'involontaire*, Aubier, p. 367.

7. «لا يكمن المعنى العميق للعلاج التحليلي في تفسير الوعي من خلال اللاوعي، لكنه يكمن في انتصار هائل للوعي على ممنوعاته الخاصة عبر المرور من وعي آخر يَحُلّ الرموز. فالمحلل هو من يثبت ويؤكد الحرية ويساعد المريض على تكوين الفكر الملائم لما يعاني منه».

(بول ريكور)
Paul Ricœur, *Philosophie de la volonté*, I, Aubier, p. 375.

8. «أعتقد أن ماضينا كله يوجد في ما قبل الوعي، أريد أن أقول إنه حاضر بحيث لا يحتاج وعينا لاستحضاره أن يخرج من ذاته ولا أن يُضاف إليه شيء خارجي».

(هنري برجسون)
Henri Bergson, *L'energie spirituelle*, p. 57.

9. "هناك ألف علامة تجعلنا نقول بوجود عدد لا محدود من الإدراكات بداخلنا في أية لحظة، ولكن بدون أفكار ولا تأمل، أي أنها تغيرات في الروح لا ندركها».

(ليبنز)
Leibniz, *Nouveaux essais sur l'entendement humain*, Delagrave, p. 129.

10. «إن الصورة محفوظة في خزينة الروح، في ليل الروح، إنها لاواعية، أي لا تُعرضُ كموضوع أمام التمثل».

(هيجل)
Hegel, *la philosophie de l'esprit*, PUF, p. 13.

11. «ليس الوعي إلا أداة، وبناء على جميع الأمور الكبرى التي تتم في اللاوعي، فإنه ليس هو الأداة الأكثر ضرورة ولا الأكثر إثارة للإعجاب من بين جميع الأدوات الأخرى».

(فريدريك نيتشه)
Nietzsche, *la volonté de puissance*, Gallimard, 1995, p. 269.

12. «يجب توضيح إلى أي حد يظل كل ما هو واع سطحيا، إلى أي حد يختلف الفعل عن صورة الفعل، إلى أي حد لا نعرف إلّا شيئا ضئيلا عن كل ما يسبق القيام بالفعل، إلى حد تعتبر فيه حدوسنا عن إرادة حرة مجرد وهم».

(فريدريك نيتشه)
Nietzsche, *la volonté de puissance*, Gallimard, 1995, p. 315.

13. «اعتُبِرَ الناس أحرارا لكي يحاكموا ويعاقبوا، أي لكي يكونوا مذنبين، ونتيجة ذلك كله هي اعتبار كل فعل من الأفعال الإنسانية على أنه إرادي، والاعتقاد أن أصل كل فعل إنساني هو الوعي».

(فريدريك نيتشه)

Nietzsche, *Le crépuscule des idoles*, Idées, p. 63.

14. «لقد ساد الاعتقاد لمدة طويلة بأن الفكر الواعي هو الفكر بامتياز. وبدأنا الآن فقط نلمح الحقيقة، أي أن أكبر جزء من نشاطنا الذهني يتم بطريقة لاواعية».

(فريدريك نيتشه)

Nietzsche, *Le gai savoir*, 1883.

15. «يتعرف المريض في الكلام الصادر عن التحليل النفسي، من خلال تأمله فيه، على صخب حياته التي كان يعيشها في السابق كحياة صامتة. إن الأمر يتعلق بالنسبة له هو أيضا بلقائه من جديد بالعقل».

(ن. غريبالدي)

N. Grimaldi, *le désir et le temps*, puf, p. 433.

16. «ينتقم اللاوعي ليلا».

(لويس سكوتنير)

Louis Scutenaire, *Mes inscriptions*.

17. « اللاوعي هو ما يُقال بدون علم الذات».

(فانسان ديكومب)

Vincent Descombes, *l'inconscient malgré lui*.

18. «اللغة هي جسدنا وهواؤنا وعالمنا وفكرنا وإدراكنا بل إنها لاوعينا».

(فيليب سوليرز)

Philipe Sollers, *Logique*.

19. «التربية هي فن تمرير الوعي إلى اللاوعي».

(غوستاف لو بون)

Gustave Le Bon

20. «تنمو الشخصية انطلاقا من اللاوعي».

(كارل غوستاف يونغ)

Carl Gustave Jung

21. «اللاوعي هو خطاب الآخر».

(جاك لاكان)

Jacques Lacan, *Ecrits II*.

22. «تعبر الحتمية الخارجية عن نفسها في الصدفة، وتشق لها طريقا في اللاوعي».

(أندري بروتون)

André Breton

23. «إن التوجه نحو الموت هو هروب لاواعي للخلاص من الألم والنّدرة».

(هربرت ماركوز)

Herbert Marcuse, *Eros et civilisation*.

فهرس

تمهيد 5

I . تحديد المفهوم 13

I . 1. معاني اللاوعي المتعددة — معجم التحليل النفسي 13
I . 2. اللاوعي النفسي — أندري كونت سبونفيل 14
I . 3. اللاوعي حسب فرويد — كاترين بونينغ 15
I . 4. فكرة اللاوعي في الفلسفة — أنسكلوبيديا لاروس 16
I . 5. اللاوعي في علم النفس — أنسكلوبيديا لاروس 17
I . 6. فرويد والمعنى الجديد للاوعي — أنسكلوبيديا لاروس 18
I . 7. اللاوعي واللغة حسب لاكان — أنسكلوبيديا لاروس 19
I . 8. المقاومة العاطفية للاوعي
كريستيان دروسن وهيلين أوبنهايم غلوكمان 20
I . 9. تجليات اللاوعي وفعالياته — علي زيعور 21
I . 10. اللاوعي الجمعي — بيير داكو 22
I . 11. ثلاثة أنواع من اللاوعي — جون كوترو 24

II. ما قبل فرويد 27

II. 1. اللاوعي حسب أفلاطون جون كوترو 27
II. 2. هل نعرف السبب الحقيقي لأفعالنا ؟ باروخ سبينوزا 27
II. 3. سطحية الوعي فريدريك نيتشه 28
II. 4. اللاوعي بين نيتشه وفرويد برسيفال بيلي 30
II. 5. الطب العقلي واكتشاف اللاوعي ماري أندري شاربونو 31
II. 6. التنويم المغناطيسي واللاوعي روبير سيسْيون وُودْوُورت 33
II. 7. العلم واللاوعي قبل فرويد جاك فان ريلاير 34

III. اللاوعي حسب فرويد 37

III. 1. اللاوعي بين جانيه وفرويد سيجموند فرويد 37
III. 2. مشروعية اللاوعي وضرورته سيجموند فرويد 39
III. 3. اللاوعي بين التحليل النفسي والفلاسفة
سيجموند فرويد 41
III. 4. بناء مفهوم اللاوعي سيجموند فرويد 41
III. 5. المكونات اللاواعية للهو والأنا الأعلى والأنا
سيجموند فرويد 44
III. 6. آثار اللاوعي سيجموند فرويد 46
III. 7. ضرورة اللاوعي سيجموند فرويد 48
III. 8. وعيُ اللاوعي فاليري ليبين 49
III. 9. مشروعية اللاوعي إدغار بيش 53
III. 10. علاقة اللاوعي بالصحة والمرض حسب فرويد
وليم ماتيو أونيل 55

III. 11. علاقة اللاوعي بالأنا حسب فرويد
روبير سيسْيون وُودْوُورت 56
III. 12. اللاوعي والكبت بيير داكو 57
III. 13. اللاوعي أو الحصان الذي يقود الفارس
باتريك دو نوتير 58
III. 14. اللاوعي بين علم النفس الفردي وعلم النفس الجمعي
سيجموند فرويد 59

IV. اللاوعي ما بعد فرويد 61

IV. 1. هل اللاوعي مفهوم ثوري ؟ إريك فروم 61
IV. 2. نقد المحتوى الجنسي للاوعي الفرويدي
كارل غوستاف يونغ 63
IV. 3. المحتويات المكبوتة في اللاوعي كارل غوستاف يونغ 67
IV. 4. اللاوعي بين البيولوجي والاجتماعي أوتو رانك 69
IV. 5. الأحلام بين الوعي واللاوعي ألفرد آدلر 71
IV. 6. اللاوعي حسب ألفرد أدلر روبير سيسْيون وُودْوُورت 73
IV. 7. يونغ وإغناء مفهوم اللاوعي روبير سيسْيون وُودْوُورت 74
IV. 8. البعد الرمزي للاوعي عند لاكان عدنان حب الله 75
IV. 9. اللاوعي حسب جاك لاكان كاترين بونينغ 76
IV. 10. غموض التعبير عن اللاوعي فيليب بويكنز 79
IV. 11. لاكان واللاوعي الفرويدي فرانك شومون 81
IV. 12. اللاوعي لغة مستقلة بذاتها عدنان حب الله 82

V. نقد اللاوعي 85

V. 1. هل اللاوعي أنا آخر ؟ ألن (إميل أوغست شارتييه) 85
V. 2. مخاطر فكرة اللاوعي ألن (إميل أوغست شارتييه) 86
V. 3. مأزق اللاوعي جاك فان ريلاير 87
V. 4. هل اللاوعي هو نتاج الكبت ؟ جويل بروست 87
V. 5. من هم سكان اللاوعي ؟ جاك فان ريلاير 89
V. 6. من يملك مفاتيح اللاوعي ؟ مبكال بورش جاكوبسون 91
V. 7. دلالة مقاومة اللاوعي في التحليل النفسي
جاك فان ريلاير 93
V. 8. استحالة المعرفة العلمية للاوعي ميشال أونفري 94
V. 9. من الذي اكتشف اللاوعي ؟ جاك فان ريلاير 95
V. 10. البرهان الخاطئ على وجود اللاوعي ميشال بيتبول 98
V. 11. اللاوعي والحقيقة جاك فان ريلاير 99
V. 12. بيير جانيه : المكتشف الحقيقي للاوعي بيير كوترو 100
V. 13. اللاوعي كمعمل جيل دولوز وفيليكس كاتاري 102

أقوال فلسفية 103

لم يكتشف فرويد مفهوم اللاوعي بالمعنى الدقيق للكلمة. لكنه منح لمصطلح وُجِد سابقا معنى جديداً. وسيعمل جاهدا على إضفاء الشرعية عليه، ارتكازا على أبحاثه الشخصية (...). ولقد أدت فرضية اللاوعي الفرويدية من تأسيس "علم نفس الأعماق"، و"ما وراء علم النفس"، أي التحليل النفسي. وتسمح فرضية من هذا القبيل بفهم بعض السيرورات المرضية اللاعقلانية المتكررة والمتعلقة بوجود الذات. وهذا الأمر يفسر أيضا اختراع فرويد لإستراتيجية علاجية نفسية، هي العلاج التحليلي النفسي، وهكذا بدأ إصلاح عميق سيؤدي إلى إنكار الكوجيطو الديكارتي، إصلاح يرتكز على أن "الأنا ليس هو السيد في بيته".

$ 5

30 الذكرى الثلاثون
1985-2015

9 789954 659151

الثمن 34 درهما